مواقف العلماء من الاتِّزان في القرآن عرضٌ وتحليل

د. عبد العزيز بن صالح الهمامي
قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مواقف العلماء من الاتِّزان في القرآن عرضٌ وتحليل

د. عبد العزيز بن صالح الهمامي

قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢١/ ٨/ ١٤٤٤هـ **تاريخ قبول البحث:** ٢٥/ ١١/ ١٤٤٤هـ

ملخص الدراسة:

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة، فأمَّا المقدمة فبيَّنت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهجه وخطته.

وأمَّا المبحث الأول فعرَّفتُ فيه بالانسجام والاتزان في اللغة والاصطلاح، وتطوّر مفهومهما عند البلاغيين، وورودهما في الشعر والنثر، وأمَّا المبحث الثاني فعرضتُ فيه تعريف الشعر، ومسألة نفي أن يكون القرآن شعرًا، والنبي ﷺ شاعرًا، وأمَّا المبحث الثالث فتكلَّمت فيه عن مسألة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وأمَّا المبحث الرابع فاستعرضت فيه تاريخ الاتِّزان عند اللغويين والعروضيين والمفسرين والمحدِّثين والبلاغيين، وأقوال العلماء المحققين في هذه المسألة، مع مناقشة ما رأيت أنَّه يحتاج إلى مناقشة.

ثم ختمت البحث بخاتمةٍ اشتملت على مجموعةٍ من النتائج.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، الانسجام، الاتزان، القرآن، الشعر.

Scholars' Perspectives on Balance in the Quran: Presentation and Analysis

Dr. Abdul Aziz bin Saleh Al-Hamami
Department of Rhetoric and Criticism - College of Arabic Language
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract:

This research consists of an introduction, four sections, and a conclusion. In the introduction, the importance of the topic, the reasons for choosing it, and the methodology and plan of the research are explained. In the first section, I defined harmony and balance in language and terminology, and traced their development among rhetoricians. I also discussed their presence in poetry and prose. The second section presents a definition of poetry and addresses the question of whether the Quran is considered poetry and whether the Prophet (peace be upon him) was a poet. The third section focuses on the issue of the Quran's phonetic miracle. In the fourth section, I provided a historical overview of the concept of balance according to linguists, prosodists, interpreters, linguists, and rhetoricians. I also discussed the opinions of the scholars who have researched this matter, along with areas that I believe require further discussion. Finally, the research concludes with a conclusion that encompasses a set of results.

Keywords: Rhetoric, harmony, balance, Quran, poetry.

المقـــدمـــــــة

الحمد للَّه الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أَنَّ محمدًا ﷺ عبدُ اللهِ ورسولُهُ، وخِيرَتُه من خلقه، وحُجَّتُه على عِبَادِه، وأَمِينُهُ على وَحْيِه، أرسله رحمةً للعَالَمِين، وقُدوَةً للعَالِمين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه، وكفى بالله شهيدا، وجعله داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فإنَّ كتاب الله ﷻ بالغٌ في بلاغته وفصاحته حدَّ الإعجاز: لفظًا ومعنًى، وإفرادًا وتركيبًا، وتصويرًا وتحسينًا، وهو الكتاب الأوحد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنَّه تنزيل العزيز الحميد.

وإنَّ ثَمَّة فنونًا بلاغيَّةً بديعيَّةً تُحدِثُ في الكلام حلاوةً وجزالةً وعذوبةً، وتشكِّل جرسًا صوتيًّا تلذُّ له الأسماع، ومن هذه الفنون: الجناس، والسجع، والطباق والمقابلة، ومراعاة النظير، وغيرها.

ومن هذه الألوان الصوتية الجميلة أيضًا ما يسمِّيه البلاغيون بالانسجام أو الاتِّزان كما يسمِّيه بعض المفسرين، ويبحثون فيه ما جاء من الآيات القرآنية متَّزنًا على شيءٍ من الأوزان الشعرية، وقد أشار عليَّ أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر[1] -حفظه

---

(١) هو الأستاذ الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الأستاذ في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وله أبحاث ومؤلفات بلاغية تتميز بالتحقيق والرصانة العلمية، ومن أقربها إلى عنوان هذا البحث كتابه (الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن)، ومؤلفات أخرى كثيرة.

الله- بكتابة بحثٍ في هذا الموضوع؛ لما له من أهمية تتمثَّل في كونه يتعلَّق بمسألة بلاغية قرآنية جدليَّة تختلف الآراء حولها قبولًا أو رفضًا، ومع هذه الأهمية لا يوجد -فيما أعلم- بحثٌ علميٌّ يتناولها بالدراسة، فاتَّجهت إلى بحثها وجمع الآراء فيها ومناقشتها، فاجتمعتْ لي مادَّةٌ علميَّةٌ أحسبها حسنةً كافيةً بإذن الله ﷻ، مع يقيني بأنَّ الكلام في مثل هذه المسألة تكتنفه بعض الصعوبات والعقبات؛ فإنَّ تقعيد الجانب الصوتي للقرآن أمرٌ عسيرٌ لاعتبارات كثيرة، منها ما للقرآن من الهيبة والمنزلة التي يجب على كل باحثٍ أن يكون حذرًا حين يدرس مسائله؛ حتى لا يقع في شيءٍ من المزالق، ومنها أيضًا: الصعوبة البالغة في توضيح الواضح من الأَسْرِ الفنِّي المعجز الذي يبطل فاعلية الأقيسة عند ذوي الملكات العالية، ثم ذلك الالتحام الفذُّ بين الصوت والمعنى، بين الشكل والمضمون، بين الجرس والدلالة في النظم القرآني[1].

بيد أنِّي بعد استخارةٍ أقدمت على بحث هذا الموضوع مستعينًا بالله ﷻ، وسلكت في ذلك المنهج التاريخي والتحليلي؛ إذ هو الأقرب إلى طبيعة موضوعه.

وقسَّمته إلى أربعة مباحث:

فأمَّا المبحث الأول فعرَّفتُ فيه بالانسجام والاتزان في اللغة والاصطلاح، وتطوّر مفهومهما عند البلاغيين.

وأمَّا المبحث الثاني فعرضتُ فيه تعريف الشعر، ومسألة نفي أن يكون

---

(١) ينظر: الفاصلة في القرآن ٣٦٤.

القرآن شعرًا.

وأمَّا المبحث الثالث فتكلَّمت فيه عن مسألة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم.

وأمَّا المبحث الرابع فاستعرضت فيه تاريخ الاتِّزان عند المفسرين والمحدِّثين والعروضيين والبلاغيين، وأقوال العلماء المحققين في هذه المسألة، مع مناقشة ما رأيت أنَّه يحتاج إلى مناقشة.

ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أبرز نتائجه التي ظهرت لي، والله تعالى أعلم، وأجُّل وأحكَم، والحمد له أولًا وآخرا، وباطنًا وظاهرا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرا.

المبحث الأول:

الاتِّزان في اللغة والاصطلاح

الانسجام والاتِّزان في اللغة والاصطلاح:

جعل البلاغيون فنَّ الانسجام واحداً من الفنون البديعيَّة، و لم أجد –فيما وقفت عليه– في كلامهم ذكراً لمصطلح الاتزان إطلاقًا، وإنما وجدت ذلك عند بعض المفسرين؛ ولذلك فإنِّي سأتناول بالتعريف هذين المصطلحين: الانسجام والاتِّزان، إذ العطف بينهما من عطف الخاص على العام، حيث يقصد هذا البحث بمزيد عناية واهتمام إلى الاتزان.

الانسجام في اللغة:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ) ﷺ: "(سَجَمَ) السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صَبُّ الشيء من الماء والدمع. يقال: سَجَمَت العين دمعَهَا، وعينٌ سَجُومٌ، ودمعٌ مَسْجُومٌ، ويقال: أرضٌ مَسْجُومَةٌ: مَمطُورةٌ"(١)، ويقال: سَجَمَت العينُ الدمعَ، وسَجَمَت السحابةُ الماءَ تَسجمُه وتَسجُمُه إذا صَبَّتْهُ، سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمانًا: وهو قَطَران الدمع وسَيَلانه، قليلًا كان أو كثيرًا، وكذلك الساجمُ من المطر، والعرب تقول: دَمعٌ ساجِمٌ، ودَمعٌ مَسجوم: سَجَمَتْه العَينُ سَجْمًا، وانسَجَمَ الماءُ والدمعُ، فهو مُنسَجِمٌ إذا انسَجَمَ؛ أي: انصَبَّ، وسَجَّمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسجِيمًا وتَسْجامًا إذا صَبَّتْه(٢).

---

(١) مقاييس اللغة ١٣٦/٣، ١٣٧ (سجم).

(٢) ينظر: لسان العرب: ٢٨٠/١٢، ٢٨١ (سجم).

الاتِّزان في اللغة:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ) رحمه الله: "الواو والزَّاءُ والنُّون: بِنَاءٌ يَدُلُّ على تَعديلٍ واستقامة: وَوَزَنْتُ الشَّيءَ وَزْنًا. والزِّنَةُ قَدْرُ وَزْنِ الشَّيءِ، والأصلُ وَزْنَةٌ. ويُقال: قامَ ميزَانُ النَّهَارِ، إذا انْتَصَفَ النَّهَارُ. وهذا يُوَازِنُ ذلك، أَيْ هو مُحَاذِيه. ووَزِينُ الرَّأيِ: مُعْتَدِلُهُ"(١).

واستعمل هذا الأصل في أوزان الشعر، قال ابن سيده (٤٥٨هـ) رحمه الله: "وأوزان العرب: ما بَنَتْ عليه أشعارَها، واحدُها وَزْنٌ، وقد وَزَنَ الشِّعرَ وَزْنًا فاتَّزَنَ ... والميزان: العَدلُ، ووَازَنَه: عادَلَه وقَابَلَه، وهو وَزْنُه وزِنَتُه وَوِزَانُه، وبوِزَانِه، أي: قُبالَتَه"(٢).

الاتِّزان والانسجام في الاصطلاح:

لا شك في أنّ الانسجام فرع أصيل من خصائص الفن، ويشمل الفنون الجماليَّةَ جميعَها، كالرسم والنحت والشعر ونحوها، ونجده في تفريعات هذه الفنون على اختلاف مذاهبها ومشارب أربابها(٣)، ولكنَّ الذي يهمنا هنا هو الانسجام في كلام البلاغيين.

ومن خلال استقرائي لكتب البلاغيين تبيَّن لي أنَّ لمصطلح الانسجام في كلامهم مفهومين:

الأول: مفهومٌ عامٌّ تدخل تحته المباحث البلاغية كلُّها.

---

(١) مقاييس اللغة ١٠٧/٦ (وزن).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٠٩/٩ (وزن).

(٣) جماليات المفردة القرآنية ١٦٩.

الثاني: مفهومٌ خاصٌّ بالانسجام بوصفه واحدًا من الفنون البديعيَّة.

وقد أشار السيوطي (٩١١هـ) رحمه الله إلى هذين المفهومين بقوله: "الانسجام هو أن يكون الكلام لخلوه من العَقَادَة منحدرًا كتحدُّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رِقَّةً، والقرآن كلُّه كذلك، قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونةً بلا قصد؛ لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا"(١)، فأشار أولًا إلى أنَّ القرآن كلَّه منسجم، وهذا هو المفهوم العام، ثم أشار إلى المفهوم الخاص بما قاله أهل البديع.

فأمَّا مفهومه العام فإنَّه إضافةً إلى ما تدلُّ عليه المادّة اللغوية لهذا المصطلح يمكن القول إنَّ الانسجام شرطٌ لكلِّ كلامٍ بليغ، وهو واقعٌ في كلِّ الفنون والأبواب والمباحث البلاغية، وذلك أنَّ الكلام لا يكون بليغًا حتى يكون منسجمًا عذبًا رقيقًا يتسلَّل إلى نفوس السامعين وينساب إلى قلوبهم بيسرٍ وسهولة، وأول ما يتجلَّى هذا المعنى عند البلاغيين في تعريفهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ إذ المطابقة هنا تعني المواءمة والملاءمة والانسجام بين الألفاظ والأحوال والمقامات ومقتضياتها.

إنَّ الانسجام بهذا المفهوم العام هو سهولة الكلام في حال تركيبه، بحيث لا يَثْقُلُ على اللسان، ومَرجِعُ ذلك للَّفْظ، وهو أخصُّ من فصاحة الكلام، قال الجاحظ عن بعض الأدباء: "فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظًا حسنًا، وأعاره البليغ مخرجًا سهلًا، ومنحه المتكلم دَلًّا مُتَعَشِّقًا، صار في قلبك أحلى،

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢٩٦/٣، معترك الأقران ٢٩٢/١.

ولصدرك أملا"[1]، ويندرج تحت الانسجام سلامةُ الكلام من التكلُّف والتصنُّع، بحيث لا تَعرِف منه كدَّ الذهن، ولا تلفيق المعاني لأجل الألفاظ، ولا البحث عن الألفاظ المستغرَبة، وكذا الإكثار من المحسِّنات البديعية المتكلَّفة، التي يُعبَّر عنها بالصَّنْعة، وإن وقع شيءٌ منها فإنما يقع بدون تكلُّف، أو بخفيف من التكلُّف عندما تجود به فرصة المـَقَام، ويُسمَّى الكلامُ المستكثِر منها: مصنوعًا، وغير المتكلف لها: مطبوعًا، قال صاحب التلخيص: "وأصل الحُسْن في جميع ذلك أن تكون الألفاظُ توابعَ للمعاني"[2].

كما يتجلَّى هذا أيضًا في كلام البلاغيين عن فصاحة الألفاظ: من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس والكراهة في السمع والثِّقل، وكلامهم عن فصاحة التراكيب: من تنافر الكلمات وضعف التأليف والتعقيد اللفظي والمعنوي، وهذا كله يعني ضرورة الانسجام في المفردات والتراكيب؛ فإنَّ هذه العيوب التي تطرأ عليها تورث عُسرًا وصعوبةً في النطق وفي الفهم معًا، وبُعدًا عن مَهْيَع الانسجام.

يقول الجاحظ (٢٥٥هـ) رحمه الله: "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعةً في بيت شِعْرٍ لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه ... وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أُفْرِغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان

(١) البيان والتبيين ٢١٢/١.

(٢) بغية الإيضاح ٦٦٤/٤.

كما يجري الدِّهان ... وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متّفقةً مُلْسًا ولَيِّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تَشُقُّ على اللسان وتكدُّه، والأخرى تراها سهلةً لينةً، ورَطْبةً مُتواتيةً، سلسة النِّظام، خفيفة على اللسان، حتى كأنَّ البيت بأَسْرِه كلمةٌ واحدةٌ، وحتى كأنَّ الكلمة بأَسْرِهَا حرفٌ واحد"(١).

ويقول عبد المتعال الصعيدي (١٣٩١هـ) ﷺ: "وتحقيق هذا أنَّ الألفاظ المركبة فيها جمالٌ وقبحٌ كالألفاظ المفردة؛ حتى إنَّه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة في ذاتها، قبيحة في تركيبها؛ لفقدها ما يسمى جمال الانسجام، وهذا هو ما يعنون بقولهم: ولكلِّ كلمةٍ مع صاحبتِها مَقامٌ"(٢).

ويقال مثل هذا في أبواب البلاغة كلِّها، فمن الانسجام في باب المعاني مثلًا: مراعاة باب التقديم والتأخير والعناية به؛ حتى لا يقع المتكلم في التعقيد اللفظي بسبب الإخلال بذلك؛ لأنَّ الكلام عمليَّةٌ عقليَّةٌ قبل أن يكون عمليَّةً لسانيَّة، ومن هنا كان للتقديم والتأخير منزلةٌ كبيرةٌ في البلاغة؛ لكثرة أسراره ومزاياه البلاغية التي تنبع من عقل المتكلم وغاياته التي يهدف إليها بكلامه، وتدلُّ كذلك على الانسجام ومنطقيَّة الأحكام وصدق الأخبار، وبهذا يفرِّق الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ﷺ بين ترتيب الحروف ونظم بعضها مع بعضٍ لتكوِّن الكلمات، وترتيب الكلِم ونظم

---

(١) البيان والتبيين ١/٧٤، ٧٥، ٧٦.

(٢) بغية الإيضاح ١/٢٥.

بعضها مع بعض لتكوِّن الكلام، فيقول: "وأمَّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وتَرَتِّبهَا على حسب ترتُّب المعاني في النفس، فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق؛ ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وُضع علةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح، والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن تَوَالَتْ ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"(١).

ولهذا الارتباط الوثيق بين العقل وعملية تقديم بعض الكلام على بعض؛ تبوَّأ باب التقديم منزلته العالية بين أبواب البلاغة، فهو خلاصة ما وصلت إليه دراسة البلاغيين للنَّظم، أو لأبواب علم المعاني التي هي عَصَب البحث البلاغي؛ ولذلك يرى الدكتور محمد أبو موسى أنَّ باب التقديم يدخل إلى حدٍّ بعيدٍ في جميع الأبواب البلاغية، فيقول: "وبناءُ العبارة في الحقيقة بناءُ خواطرَ ومشاعرَ ومعانٍ ومقاصدَ قبل أن يكون هندسةَ ألفاظٍ وتصميمَ قوالب، وإذا كان السياق سياقًا فيَّاضًا وحافلًا أَبْدَتْ هذه الزَّحْزَحَاتُ الخفيفةُ للكلمات غنًى وفيضًا، وترى هذا يجري في جميع الأبواب البلاغية: في القصر، والمسند إليه، والمسند، ومتعلقات الأفعال، وتكثر الدراسة

(١) دلائل الإعجاز: ٤٩، ٥٠.

المرتبطة بمواقع الكلمات كثرةً تلائم حجمها في الاستعمالات، وهذا كله في إطار الجملة، فإذا تجاوزناه رأينا بابًا يعظم سلطانه، ولو كانت مواقع الكلمات غير قابلة للتغيير لكان ذلك عِيًّا في اللغة، وعجزًا قاهرًا في اللسان"(١).

إنَّ الجملة العربية سواء كانت اسميةً أو فعلية تأتي على ترتيبٍ معيَّن تقتضيه قواعد النحو العربي التي وضعها النحاة، ولكن هذا الترتيب يطرأ عليه كثيرٌ من التغييرات تبعًا لأغراض المتكلم، "فكلُّ ترتيبٍ ينطوي على قصدٍ معين، وهذا هو عين نظرية عبد القاهر الجرجاني، إذ يتجاوز المرسِل مجرّدَ الضَّم الذي يقتضيه النحو والدلالة إلى الضَّم على طريقةٍ مخصوصةٍ وفق ما يستدعيه سياق الخطاب"(٢).

ومن هنا نجد الشيخ عبد القاهر يسوق في بيان منزلة هذا الباب جملةً من الأوصاف الجليلة فيقول: "هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"(٣)، فإنَّ في قوله: "يروقك مسمعُه" آيةً على أن التقديم والتأخير رافد من روافد الجرس الصوتي للعبارة(٤).

---

(١) دلالات التراكيب: ١٧٦، ١٧٧.

(٢) إستراتيجيات الخطاب: ١٨٧/١.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٠٦، وينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف: ٦٤٨.

(٤) العزف على أنوار الذكر ٢٢٠- ٢٢٣.

إنَّ الجرس الصوتيّ ينشأ من أصوات الحروف والحركات في الكلمة، ومن اختيار الكلمات ومن تنضيد الجملة من كلماتٍ، وما فيها من حركاتٍ ومدّات منسُوقة، ومن منهج التّركيب، ومواقع الكلمات، ومن طول الكلمات والجمل وقصرها، ومن مقاطع الجمل وفواصلها، كلُّ ذلك روافد رئيسية يستجمع منها الانسجام الصوتيّ[1].

وأمَّا الانسجام في البيان فيظهر جليًّا في تأكيد البلاغيين على ضرورة اختيار التشبيهات والمجازات والكنايات بعنايةٍ فائقة؛ حتى لا يقع المتكلم في التعقيد المعنوي بسبب الإخلال بذلك؛ ولهذا جعلوا هذا الاختيار شرطًا للبلاغة، كما قال عبد القاهر: "من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلًا على المعنى الثاني ووسيطًا بينك وبينه، متمكنًا في دلالته، مستقلًّا بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاقِّ اللفظ[2]، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك"[3].

كما اشترطوا في المجاز أن يقيم المتكلم قرينةً لفظيةً أو حاليَّةً تدلُّ على أنَّه لم يرد بعبارته المعنى الأصلي الحقيقي، وإنَّما أراد معنًى مجازيًّا، هذا مع اشتراط وجود علاقةٍ بين المعنيين أصلًا، وإن خلا المجاز من القرينة أو العلاقة كان إلى التعمية والإلغاز والإبهام أقرب، وأفضى إلى التعقيد ومجافاة

(١) ينظر: السابق ٢٢٢.

(٢) حاقُّ الشيء: وسطه.

(٣) دلائل الإعجاز ٢٦٧.

الانسجام، وفساد المعاني؛ "لأنه إذا كان النظم سويًّا، والتأليف مستقيمًا، كان وصول المعنى إلى قلبك، تلو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي، وصل اللفظ إلى السمع، وبقيتَ في المعنى تطلبه وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا: إنه يستهلك المعنى"(١).

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات (١٣٨٨هـ) ﷺ: "فإذا أدَّى إلى التعقيد المعنوي ببعد اللزوم في الكناية، أو غرابة العلاقة في المجاز، كالكناية بنصوع الجبين عن خلو الملامح من الدلالة، أو استعارة الأسد للرجل الأبْخَر لا للرجل الشجاع، على اعتبار أنَّ البَخَرَ والشجاعة من لوازم الأسد، كان ذلك هو العيَّ الذي يناقض البيان، واللبس الذي يناهض البلاغة"(٢).

ويقول الدكتور فضل حسن عباس (١٤٣٢هـ) ﷺ: "إنَّ المجاز والكناية في العربية من أروع سماتها، لكن على أن تكون الكناية واضحة اللزوم، وأن يكون المجاز ذا علاقة قريبة"(٣).

وأمَّا الانسجام بمفهومه العام كذلك في البديع فهو أن يأتي سمحًا سهلًا بلا تكلُّف، فإنَّه متى ما جاء متكلَّفًا كان ثقيلًا ممجوجًا تنفر منه الأسماع وتأباه الأذواق، كما قال أبو هلال العسكري: "إنَّ هذا النوع من الكلام

---

(١) السابق ٢٧١.

(٢) دفاع عن البلاغة ١٠٤.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها ٥٢.

إذا سلم من التكلف، وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن، ونهاية الجودة"[1].

وهذه هي القاعدة العامَّة في البديع؛ فإنَّ الحقَّ الذي لا مرية فيه أنَّ للمحسِّنات البديعيَّة قيمتها الفنية ومكانتها البلاغية في كلام العرب وعند المحقِّقين من علماء البيان، وأنَّ حُسنَهَا حُسْنٌ ذاتيٌّ إذا اقتضاها المقام، ودعا إليها سياق الكلام، ولم تكن متكلَّفةً، بل جاءتْ عَفْوَ الخاطر، وقاد إليها الطبع، فإن لم تكن كذلك كانت معيبةً مستقبحةً؛ يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني ﷺ: "ولن تجد أيمن طائرا، وأحسن أولًا وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للاستحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتَدَعَها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تُركت وما تريد لم تَكْتَسِ إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها، فأمَّا أن تضع في نفسك أنَّه لا بدَّ من أن تُجَنِّسَ أو تسجع بلفظين مخصوصين، فهو الذي أنت منه بعَرَض الاستكراه، وعلى خطرٍ من الخطأ والوقوع في الذَّم"[2].

ويقول أيضًا: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا، ولا سجعًا حسنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حِوَلًا، ومن هاهنا كان أحلى تجنيسٍ تسمعه وأعلاه، وأحقُّه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى

---

(١) الصناعتين ٢٦٧.

(٢) أسرار البلاغة: ١٤، وينظر: علم البديع لفيود ١١٥ – ١٢١، ورعاية حال المخاطب في الصحيحين ٦٠٦ -٦١١.

اجتلابه، وتأهُّبٍ لطلبه، أو ما هو -لحُسْنِ ملاءمته، وإن كان مطلوبًا- بهذه المترلة وفي هذه الصورة"[1].

ويقول ابن الأثير بعد تقريره أنَّ السجع المحمود هو البعيد عن التكلُّف: "فإذا صُفِّيَ الكلام المسجوع من الغَثَاثَةِ والبَرْد؛ فإنَّ وراء ذلك مطلوبًا آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعًا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعًا للفظ، فإنه يجيء عند ذلك كظاهرٍ مموَّه، على باطنٍ مُشَوَّه، ويكون مَثَلُهُ كَغِمْدٍ مِن ذَهَب، على نصلٍ من خشب"[2].

هذا هو الانسجام بمفهومه العامُّ في البلاغة العربية، وأمَّا المفهوم الخاصُّ له -وهو المراد بهذا البحث- فهو كما قال ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) رحمه الله: "أن يأتي الكلام متحدرا كتحدُّر الماء المنسجم، سهولة سبكٍ وعذوبة ألفاظٍ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقعٌ في النفوس وتأثيرٍ في القلوب ما ليس لغيره، مع خُلُوِّه من البديع، وبُعْدِه عن التصنيع، وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتَّزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً"[3].

ونقل ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) رحمه الله إجماع البديعيين على تعريف الانسجام بهذا الحدِّ فقال: "المراد من الانسجام أن يأتي، لخُلُوِّهِ من العَقَادَة، كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل

---

(١) أسرار البلاغة: ١١.

(٢) المثل السائر: ٢١٣/١.

(٣) تحرير التحبير ٤٢٩، وبديع القرآن ١٦٦، ١٦٧.

رقة، ولعمري إنَّ طيور القلب ما بَرِحَتْ على أفنان هذا النوع وارفةً[1]، وبمحاسنه الغَضَّة بين الأوراق سَاجِعَةً، وأهل الطريق الغَرَامِيَّة هم بدور مَطَالِعه، وسُكَّانُ مَرَابِعه، فإنهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع، اللهم إلا أن يأتي عفواً من غير قصد، وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع، فإنهم قرروا أن يكون بعيداً من التصنع، خالياً من الأنواع البديعية، إلا أن يأتي في ضمن السهولة من قصد[2]"[3].

وفي كلام ابن أبي الإصبع وابن حجة الحموي ما يبين أنَّ الانسجام عند البديعيّين نوعان:

الأول: أن يكون خالياً من الاقتران بشيءٍ من الألوان البديعيَّة الأخرى.

والثاني: أن ينضمَّ إليه شيءٌ من الألوان البديعيَّة، قال ابن أبي الإصبع: "وقد يحصل الانسجام مع البديع الذي أتت به القريحة عفواً من غير استدعاء ولا كلفة، كقول أبي تمام:

إِنْ شِئْتَ أَلَّا تَرَى صَبْرًا لِـمُصْطَبِرٍ فَانْظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصبحَ الطَّلَلُ[4]

فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة، والتعليق، والإشارة"[5].

---

(١) هكذا في الكتاب، ولعلها: واقعة.

(٢) هكذا في الكتاب، ولعلها: من غير قصد.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ٤١٧/١، وهذا العنوان لهذا الكتاب من صنع الناشر لترويجه، وإلا فاسم الكتاب كما سمَّاه ابن حجة هو: (شرح بديعية تقديم أبي بكر).

(٤) ديوان أبي تمام ٥/٢.

(٥) تحرير التحبير ٤٣١.

الانسجام في الشعر:

يدلُّ كلام ابن أبي الإصبع وابن حجة الحموي المذكور آنفًا على أنَّ الانسجام يقع في الشعر كما يقع في النثر، وهذا هو الذي قرَّره البديعيُّون واستشهدوا له بشواهد شعريَّةٍ كثيرة جدًا، وإن كان الانسجام الذي يلفت الانتباه ويستحق الوقوف عنده هو الانسجام في النثر كما سيأتي.

فأمَّا وقوعه في الشعر فمن ذلك قول ابن معصوم (١١٢٠هـ) ﷺ: "وأمَّا الانسجام في النَّظم فأمر يضيق عن الإحاطة به نطاق الحصر والإحصاء، ويقصر دون منال جُلِّه -فضلًا عن كُلِّه- باع الضبط والاستقصاء"(١).

وساق ابن أبي الإصبع تسعة شواهد على الانسجام في الشعر فقط، ومنها قول عمرو بن ضُبَيعَة الرَّقَاشِيُّ:

أَلَا لِيَقُلْ مَنْ يُلامُ الْفَتى فِيمَا اسْتَطَاعَ من الْأَمْرِ
قضى الله حب الْمَالِكِيَّة فاصطبر عَلَيْهِ فقد تجْرِي الْأُمُور على قَدْرِ(٢)

وتابعه الشيخ مرعي الحنبلي (١٠٣٣هـ) ﷺ فلم يستشهد للانسجام إلا بثلاثة شواهد(٣)، اثنان منها لأبي تمام، أحدها قوله:

نَقِّلْ فُؤَادك حيثُ شِئْتَ من الْهوى مَا الْحبّ إِلَّا للحبيبِ الأولِ(٤)

---

(١) أنوار الربيع ١١/٤.

(٢) شرح ديوان الحماسة ١٦٢/٢، تحرير التحبير ٤٣٠.

(٣) ينظر: القول البديع ١٥٧.

(٤) ديوان أبي تمام ٢٩٠/٢.

والثالث قول البحتري:

فَيَا لائِمِي في عَبْرَةٍ قَدْ سَفَحْتُهَا لِبَينٍ وأُخـــرى قَبـــلَهَا لِتَجَنُّبِ

تُحَــاوِلُ مِنِّي شِيمةً غَيرَ شِيمتي وتطلُبُ مِنِّي مَذهَبًا غَيرَ مَذْهَبِي[1]

وأمَّا ابن حجة الحموي وابن معصوم فقد أسرفا في الاستشهاد على فنٍّ الانسجام بشواهد شعرية كثيرة جدًّا، حتى زادت عند ابن حجة على خمسين صفحةً، وعند ابن معصوم على مئةٍ وتسعين صفحةً، بدءًا بشعراء الجاهلية وانتهاءً بشعراء عصرهما، وذكر ابن حجة الحموي أنَّ هذا الفنَّ يكثر في شعر الغزل، كما في قوله المذكور قريبًا: "وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه، وسكان مرابعه"، ولكنَّه يستدرك كلامه هذا بالإشارة إلى أنَّ الانسجام مع كثرته في شعر الغزل إلا أنَّه جاءت كثيرٌ من أشعار العرب في غير الغزل غايةً في الانسجام، فيقول: "قد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامي هم سُكَّان بيوته العامرة، وكِنَاس آرَامِه[2] التي هي غير نافرة، ولكنَّ العرب على كلِّ تقديرٍ ملوكُ هذا الشان، وقلائد هذا العِقْيَان"[3].

وممَّا ذكر ابن حجة وابن معصوم من أشعار الجاهليين قول امرئ القيس في معلقته:

---

(١) ديوان البحتري ١/١٩١.

(٢) كِنَاس: مأوى، والآرام: جميع ريم وهو الظبي.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٤٢١.

أفــاطِمُ مهــلًا بعضَ هذا التَّدَلّلِ وَإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأجملي
أغَــــرّكِ مــني أنّ حبّــكِ قــاتلي وَأنّكِ مهمــا تأمري القــلبَ يَفْعَلِ[1]

وذكر ابن معصوم قول امرئ القيس أيضًا:

ولو أنَّني أسعى لأدنى معيشةٍ كَفَاني و لَمْ أَطْلُبْ قَليلٌ مِنَ المَــالِ
ولكنَّني أسعــى لِمَجْدٍ مُــــــؤَثَّل وقــد يدرك المجــدَ المؤَثَّلَ أَمثالي[2]

وذكر ابن حجة قول طرفة بن العبد:

وظُلمُ ذوي القُرْبى أشَدُّ مَضَــاضَةً على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُــهنّدِ
ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ
ويَأتيكَ بالأخبــارِ مَنْ لم تَبِعْ له بَتاتًا، و لم تَضْرِبْ له وقْتَ مَوعدِ[3]

وذكر ابن معصوم من أشعار المخضرمين قول لبيد بن ربيعة العامري:

أحمَــدُ اللهَ فَــلا ندَّ لَــهُ بيَدَيْه الخَيرُ ما شاء فَعَلْ
مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَير اهْتَدَى ناعمَ البَال ومَنْ شاءَ أضَلّ

ومنها قوله:

واكذِبِ النّفْسَ إذا حَدَّثْتَها إنَّ صدْقَ النّفسِ يُزري بالأملْ[4]

وكذلك قصيدة كعب بن زهير (البردة)، حيث ذكر منها ابن حجة

---

(١) ديوان امرئ القيس ٣٢، ٣٣.

(٢) السابق ١٣٩.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ٢٧، ٢٩.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة ٩١، ٩٢.

قوله:

ولا تمسَّكُ بالعهد الذي وعدت إلا كما يُمسِكُ الماءَ الغَرَابيلُ[1]

ونبَّه ابن معصوم إلى أن الغاية فيها قوله:

إِنَّ الرَّسُـــــولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[2]

وذكر ابن حجة أنَّ ممَّا أعجبه من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك:

وفي الأرضِ مَنْأَى للكريمِ عنِ الأَذَى وفيها لمن خاف القِلَى مُتَحَوَّلُ[3]

ومن لامية العجم قول الطغرائي:

إنَّ العُلَـــى حدَّثتِني وهي صادقةٌ فيما تُحدِّثُ أنَّ العــزَّ في النُقَلِ

لو أنَّ في شرفِ المأوى بلوغَ مُنًى لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارةَ الحَمَلِ[4]

وممَّا ذكره ابن معصوم منها قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وقال فيها: "وهي قصيدة مشهورة لا يسقط منها بيت واحد، وأمَّا انسجامها فغاية لا تدرك، وعقيلة لا تملك، وقد جنَّبها حوشي الكلام، وجاء فيها ببديع الانسجام"[5]، ومطلعها:

---

(١) ديوان كعب بن زهير ١١٠، بلفظ: وَمَا تمسَّك بالوصل الذي زعمت إلا كما تمسك الماء الغرابيل.

(٢) السابق ١١٥.

(٣) ديوان الشنفرى ٥٨، وفيه: (مُتَعَزَّلُ) بدل (مُتَحَوَّلُ).

(٤) ديوان الطغرائي ٣٠٦.

(٥) أنوار الربيع ٣٥/٤.

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ والبَيتُ يَعْرِفُهُ والحِلُّ والحَـــرَمُ
هَـــذَا ابنُ خَيرِ عِبَـــادِ اللهِ كُلِّهُـــمُ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ[1]

وذكر ابن معصوم كذلك أنَّ من الغايات في باب الانسجام قول علي بن الجهم يمدح المتوكل:

عُيونُ المهَا بينَ الرُّصَافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيثُ نَدرِي وَلَا نَدْرِي
أَعَدْنَ لِيَ الشَّوقَ القَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ سَلَـــوتُ وَلَكِنْ زِدْنَ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ[2]

ثم ذهب ابن معصوم يسرد أبياتًا وقصائد أخرى لشعراء عصره ومن قبلهم يرى أنها غاية في الانسجام، واعتذر عن الإطالة في ذكرها بجمالها ولذاذتها وحلاوتها، وأنها أجمل مما أورده ابن حجة الحموي من الشواهد على هذا الفن[3]، وفي كلامه مدحٌ للنفس واعتدادٌ بها، وليس لما استشهد به على هذا الفن فضلٌ على ما استشهد به ابن حجة الحموي، والله المستعان.

(١) ديوان الفرزدق ٥١١.
(٢) ديوان علي بن الجهم ٢/٢٥٢.
(٣) أنوار الربيع ٤/١٩٢.

الاتِّزان والانسجام في النثر:

إنَّ الانسجام الذي يلفت الأذهان وتنصرف إليه النفوس هو الانسجام في النثر؛ لأنَّ الوزن في الشعر أصيلٌ ضروري، وهو بلا شكٍّ سببٌ في تميُّزه عن النثر، ولكنَّ الشاعر بسبب التزامه به ربما أخلَّ بشيءٍ من المعنى، وأمَّا النثر فلا يلزم فيه ذلك، فإذا ألزم المتكلم نفسه بما لا يلزمه من الوزن مع حريته في إيضاح المعاني وإيفائها حقَّها؛ فما من شكٍّ أنَّه يضفي على كلامه لباسًا من حسن السبك وجمال الجرس؛ ولذلك لمـَّا عرَّف أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) ﷺ الانسجام قال: "أن يأتي كلام المتكلم شعرًا من غير أن يقصد إليه، وهو يدلُّ على قوة الطبع والغريزة"(١)، فإنَّ انسجام الألفاظ وعذوبتها كلما زاد جعلها أشبه بالشعر في اتِّزانه وأوزانه.

وأكَّد الشيخ حسين المرصفي (١٣٠٦هـ) ﷺ ذلك حين عرَّف الانسجام بقوله: "أن يكون الكلام حَسَنَ التأليف حروفًا وكَلِمًا، بحيث لا يجد المتكلم به ضِرَامًا على آلات النطق، حتى كأنه لسلاسته يمضي وحده مع النفس دون عمل؛ وسبب ذلك هو السبب الذي من جهته تميَّز الشعر، حيث كانت عبارته مفصلة الحركات والسكنات على أوضاعٍ معينة، فإذا قويت مراعاة ذلك التفصيل بكون الحروف متلائمة مفصلة حركاتها بالسكنات على حد التناسب، ممدودةً بأحرف المدِّ، إلى غير ذلك ممَّا يوجب سهولة النطق، أخذ الكلام هيئةً لا تختلف النفوس في استحسانها،

(١) البديع في نقد الشعر ١٣١.

وتلك الهيئة هي المسمَّاة الانسجام"[1].

إذن؛ فالانسجام في النثر يكمن في أن يأخذ الناثر شيئًا من خاصِّيَّة الشعر الأولى وهي الوزن، فتكون فقرات كلامه متَّزنةً على أوزان الشعر.

والانسجام (الاتِّزان) بهذا المفهوم هو المقصود بهذا البحث، وبصفةٍ خاصةٍ ما جاء منه في القرآن الكريم، وهو ما أثبتته طائفةٌ من البلاغيين والبديعيين، واستشهدوا له بشواهد كثيرةٍ من الكتاب العزيز، وقرَّروا أن هذه الشواهد جاءت على أوزان البحور الشعرية، بل نَظَمَ بعضهم منظوماتٍ في هذا، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وفي مسألة القول بالاتزان في القرآن هذه تكمن مشكلة هذا البحث، وتظهر جملةٌ من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة، وهي:

كيف تناول العلماء هذه المسألة؟

وهل يجوز أن توزن الآيات القرآنية على أوزان البحور الشعرية؟

وهل يصح أن يُحكَم على شيءٍ من القرآن بموافقته للشعر في وزنه؟

وهذا ما ستحاول المباحث الآتية الإجابة عنه إن شاء الله تعالى، ولكن تجدر الإشارة قبل الخوض في ذلك إلى مسألتين مهمَّتين والتأكيد عليهما:

الأولى: تعريف الشعر، ونفي أن يكون القرآن شعرًا.

والثانية: الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم.

---

(١) الوسيلة الأدبية ١٠٣.

المبحث الثاني: نفي الشعر عن القرآن

نفي الشعر عن القرآن

تعريف الشعر:

الشعر هو القول الموزون المقفَّى الدَّالُّ على معنى، هذا ما يذكره النقاد وأهل الأدب في تعريف الشعر،(١) ومنهم من يذكر القصد في الشعر، أي: أن يقصد المتكلم إلى الشعر قصدا، قال ابن رشيق (٤٦٣هـ): "الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدُّ الشعر؛ لأنَّ من الكلام موزونًا مقفًّى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية، كأشياء اتَّزَنَتْ من القرآن، ومن كلام النبي ﷺ"(٢).

ويرى الأستاذ أحمد الشايب قصور هذين التعريفين؛ لأنَّهما لا يمنعان من دخول النَّظم في حدِّ الشعر، فالنَّظم لفظٌ ومعنى ووزنٌ وقافية أيضًا، والشعر أوسع مفهومًا من هذا، فهو تجربةٌ شعورية وتصويرٌ يصف العواطف والمشاعر نحو الحياة والإنسان والكون، ويرجّح الشايب أنَّه يمكن تعريف الشعر بأنَّه: "الكلام الموزون المقفَّى الذي يصوِّر العاطفة والعقل"(٣).

وقد تنبَّه العلماء الأوائل إلى هذه المسألة وفرَّقوا بين الشعر والنَّظم، وأنَّهما وإن اتفقا في الوزن والقافية إلا أنَّ الشعر يتجاوز ذلك إلى كونه تصويرًا وتخييلًا، فقد نقل الجاحظ (٢٥٥هـ) عن ابن الأعرابي أن معاوية

---

(١) ينظر: نقد الشعر ٣، البديع في نقد الشعر ٢٨٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١١٩/١.

(٣) أصول النقد الأدبي ٢٩٨.

بن أبي سفيان قال لصحّار العبديّ: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: الشعر شيءٌ تجيش به صدورنا، فتقذفه على ألسنتنا[1].

ويقول ابن خلدون (٨٠٨هـ): "قول العروضيين في حَدِّه: إنه الكلام الموزون المقفّى؛ ليس بحدٍّ لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له، وصناعتهم إنما تنظر في الشعر من حيث اتفاق أبياته في عدد المتحركات والسواكن على التوالي، ومماثلة عروش أبيات الشعر لضربها، وذلك نظر في وزن مجرد عن الألفاظ ودلالتها، فناسب أن يكون حدًّا عندهم، ونحن ننظر هنا في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة، فلا جرم أن حدَّهم ذلك لا يصلح له عندنا، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثيّة، فنقول: الشعر هو الكلام البليغ المبنيُّ على الاستعارة والأوصاف، المفصَّل بأجزاءٍ متَّفقةٍ في الوزن والرَّويّ، مستقلّ كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"[2].

وبناءً على ما سبق من إشاراتٍ وتعريفات يتبيَّن أنَّ عناصر الشعر فيها سبعةٌ هي: اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية، والتصوير والخيال، والعاطفة، وسابعها هو القصد، أو تعمُّد الشعر وإرادته، ويحدِّد السَّكاكي (٦٢٦هـ) هذا بثلاثة أبيات، فما كان أقلَّ من ذلك فلا يتحقَّق فيه شرط القصدية، كما يقول: "يمتنع تجويز عدم التعمُّد بالأبيات الثلاثة، فلا بُدَّ من كونها

---

(١) ينظر: البيان والتبيين ٣/٢٧٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١/٣٩٩، ٤٠٠.

شعرًا، ومن كون قائلها شاعرًا من تعمُّد، دون قائل الأقل"[1]، وهذا ما أشار إليه ابن فارس (٣٩٥هـ) قبله حين قال: "الشعر كلامٌ موزون مقفًّى دَالٌّ على معنى، ويكون أكثرَ من بيت"[2].

ويرى بعض الباحثين أنَّ عنصر القصدية في تعريف الشعر إنَّما أضافه العلماء لغرضٍ ديني، يقول حسين علي محمد حسين: "أما تقييد مفهوم الشعر بالقصد فيبدو أن الدافع لهذا القيد دينيٌّ لا علمي؛ كيلا يدخل الشعر بعض آيات القرآن الكريم التي تصادف مجيئها على وزن بعض البحور، مثل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران:٩٢]، وكذلك ما نطق به الرسول ﷺ من عبارات موزونة بدون قصد، مثل: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، والقرآن ورسول الله مُنَزَّهان عن الشعر وقوله، فقد وضع هذا القيد إذن لسبب ديني، يؤيد ذلك أن هذه العبارات الموزونة أو سامعها لا يعْلَق بذهنه منها أنها تنتمي بسببٍ إلى الشعر"[3].

والحاصل أنَّه يمكننا من خلال التعريفات السابقة للشعر أن نرجِّح أنَّ أجمعها هو القول بأنَّ الشعر هو: الكلام المقصود الموزون المقفَّى الذي يصوِّر الأشياء ويصف العواطف[4].

---

(١) مفتاح العلوم ٥١٦، ٥١٧.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ٢١١.

(٣) التحرير الأدبي ٤٩.

(٤) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم ١٩، ٢٠.

نفي أن يكون القرآن شعرًا:

إنَّ من الأمور المتقررة عند كل مسلم أَّن القرآن ليس شعرا، ولا يشبه الشعر، وأن النبي ﷺ ليس بشاعر، ولا هو راوية للشعر، فالحديث عن ذلك من تحصيل الحاصل وتعريف المعرَّف، وأشير هنا إلى ما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) بعدما ختم الكلام في فصلٍ عقده عن الشعر، وتناول بعض الشبهات فيه، وردَّ عليها، ثم قال بعد ذلك كلِّه: "ولولا أنَّ القول يَجُرَّ بعضُه بعضًا، وأنَّ الشيءَ يُذكَرُ لدخوله في القِسْمة، لكان حقُّ هذا ونحوه أَنْ لا يُتَشاغَلَ به، وأن لا يُعادَ ويُبدأ في ذِكره"(١)، وإنما قال ذلك لظهور هذه المسألة في نظره، وأنَّها أظهر وأبين من أن تستحق الكلام فيها، ولكنَّني أسوقها هنا تمهيدًا للكلام عن مسألة هذا البحث، وهي الاتِّزان في القرآن.

فأقول: لمـَّـا بعث الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ أيَّده بمعجزاتٍ عظيمة كما أيَّد غيره من الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بمعجزات وآيات، وقد جرت سنته ﷻ في ذلك أن تكون المعجزة من جنس ما يبرع فيه القوم الذين يُبعث فيهم الرسول، وكانت قريش والعرب قد عرفت بالفصاحة والبلاغة والبيان، وكانوا يتنافسون في أسواقهم ومنتدياتهم بهذه الملكات البيانية شعرًا ونثرًا؛ ولذلك كانت معجزة رسولنا ﷺ الخالدة هي القرآن العظيم الذي بلغ الغاية في البلاغة والبيان، حتى إنَّه ﷻ تحدَّى العرب أن يؤلفوا كلامًا يشبهه أو يقاربه فعجزوا عن ذلك، كما قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ

(١) دلائل الإعجاز ٢٧.

وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

وقد حشد العرب في هذه المعركة كلَّ طاقاتهم وقُواهم في سبيل النَّيل من النبي ﷺ وهذا الكتاب الذي جاء به، فرموه بالسِّحر والكهانة والشعر وغير ذلك، وهم يعتقدون في قرارة نفوسهم أنَّه أبعد ما يكون عن هذا، ولكنَّه العناد والمكابرة والجحود، كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣].

وقد أثبت القرآن عليهم ادّعاءاتهم وافتراءاتهم هذه وردَّها عليهم، حيث ورد افتراؤهم بأنَّ محمدًا ﷺ شاعر في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وهي قوله ﷻ: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء:٥]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات:٣٦]، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠].

وجاء نفي كون القرآن شعرًا في موضع واحدٍ، وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة:٤١]، وجاء نفيها عنه ﷺ في موضع واحد، وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩].

وقد وقف العلماء عند آية سورة يس هذه طويلًا، وناقشوا مسألة نفي الشعر عن النبي ﷺ وعن القرآن، وقاموا بالردِّ على القائلين بمجيء آياتٍ

من القرآن على بعض الأوزان الشعرية، وسأذكر هنا شيئًا من كلامهم.

افتتح الشيخ عبد القاهر كتابه دلائل الإعجاز بالكلام عن الشعر، والردِّ على مَنْ ذمَّه بحجة أنَّ الله ﷻ نفاه عن رسوله ﷺ وعن كتابه، وذكر في مبحثٍ سمَّاه (تمام الدفاع عن الشعر) جوابًا من أحسن ما وقفتُ عليه من الأجوبة في بيان سبب نفي أن يكون النبي ﷺ شاعرًا، إذ يقول: "وذاك أنَّا نَعْلم أنَّه ﷺ لم يمنع الشعرَ من أجلِ أنْ كان قولًا فصلا، وكلامًا جَزلا، ومَنطقًا حَسنا، وبَيانًا بيِّنا، كيفَ؟ وذلَكَ يقتضي أن يكونَ اللهُ تعالى قد مَنَعه البيانَ والبلاغةَ، وحماهُ الفصاحةَ والبراعةَ، وجَعلَه لا يَبْلُغ مَبْلغَ الشُّعراءِ في حسن العبارة وشَرَف اللَّفظ، وهذا جهلٌ عظيمٌ، وخلافٌ لما عرفه البلغاء وأَجمعوا عليه من أنه ﷺ كان أفصح العرب، وإذا بطل أن يكونَ المنع من أجلِ هذه المعاني، وكنَّا قد أعلمناه أنا ندعوه إلى الشعر من أجلها، ونحدوه بطلبه على طلبها، وكان الاعتراضُ بالآيةِ مُحالا، والتعلُّق بها خَطلًا من الرأي وانحلالا ... ينبغي أن يعلم أَن ليس المنع في ذلك منع تنزيهٍ وكراهة، بل سبيلُ الوزنِ في منعه ﷺ إياه سبيلُ الخَطِّ، حين جُعل ﷺ لا يقرأُ ولا يَكتُب، في أَن لم يكن المنع من أجل كراهةٍ كانت في الخط؛ بل لأن تكونَ الحُجةُ أبهرَ وأقهرَ، والدلالةُ أقوى وأظهر، ولتكونَ أَكْعَمَ[1] للجاحد، وأَقْمَعَ للمُعَانِد، وأَرَدَّ لِطالب الشبهة، وأمنع من ارتفاع الريبة"[2].

(١) قال ابن فارس: "الكاف والعين والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على سَدِّ شيء بشيء وإمساك، فالكِعام: شيء يجعل في فم البعير فلا يرغو، ويقال: كَعَمَه فهو مكعوم، وتقول: كَعَمَه الخوف فلا ينطق". مقاييس اللغة ٥/١٨٥ (كعم).

(٢) دلائل الإعجاز ٢٣، ٢٥.

فالسبب في نفي أن يكون النبي ﷺ شاعرًا إذن هو إقامة الحجة على صدق نبوته ورسالته، ودفع الشبهة والريبة عن القرآن باحتمالية كونه شعرًا بحكم أنَّ الشعر هو أعلى درجات البيان والبلاغة عندهم.

ومن تلك الأجوبة ما ذكره الرازي (٦٠٥هـ) من وجهٍ لطيفٍ في سبب نفي تعليمه ﷺ الشعر في هذه الآية دون نفي تعليمه الكهانة أو السحر، فقال: "خصَّ الشعر بنفي التعليم، مع أنَّ الكفار كانوا ينسبون إلى النبي ﷺ أشياء من جُملتها السحر، ولم يقل: وما علَّمناه السحر، وكذلك كانوا ينسبونه إلى الكهانة، ولم يقل: وما علَّمناه الكهانة، فنقول: أمَّا الكهانة فكانوا ينسبون النبي ﷺ إليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول، وأمَّا السحر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشَقِّ القمر، وتكَلُّم الحصى والجذع[1]، وغير ذلك، وأمَّا الشِّعر

---

(١) التمثيل بالحصى والجذع غير مناسب هنا؛ لأنهما كانا في المدينة، ولم يرهما مشركو مكة، فأمّا تكلُّم الحصى فقد جاء أنَّه سبَّح بين يديه ﷺ، كما روى البزار في مسنده (٤٠٤٠، ٤٠٤٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٣٨) ص٤٣١، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٦٤عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصيات فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسمع تسبيحهم من في الحلقة، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عمر فسبحن في يده يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى عثمان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحدٍ منَّا.

وأمَّا الجذع فقد ثبت في البخاري (٣٥٨٥) عن ابن عمر ﷺ قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحوَّل إليه فحنَّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه"، وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: "كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ

فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم لكنَّه ﷺ ما كان يتحدى إلا بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣]، إلى غير ذلك، ولم يقل: إن كنتم في شك من رسالتي فأَنْطِقُوا الجُذوع أو أَشْبِعُوا الخَلق العظيم أو أَخْبِروا بالغيوب، فلمَّا كان تحدِّيه ﷺ بالكلام، وكانوا ينسبونه إلى الشِّعر عند الكلام خصَّ الشِّعر بنفي التعليم"(١).

يريد الرازي أن النبي ﷺ لم يكن يتحداهم إلا بالقرآن، وكان المشركون يعدون القرآن شعرا، والنبي ﷺ شاعرا، فلهذا نفى الله ما قالوا في قوله سبحانه: (وما هو بقول شاعر)، وقوله: (وما علمناه الشعر).

وتؤكِّد الدكتورة عائشة بنت الشاطئ هذا الكلام مبيِّنةً كذلك أنَّ نفي الشعر عنه ﷺ لا يعني بحالٍ ذمَّ الشعر، فتقول: "وإذ كانت صفة الشعر هي أقرب ما تعلَّقوا به، حرص القرآن على أن ينفي عن المصطفى عليه الصلاة والسلام هذه الشاعرية، لا ذمًّا للشعر كما ذهب الباقلاني في الفصل الذي عقده (في نفي الشعر من القرآن)، ولكن لأنَّ الشعر مظنة الالتباس بالمعجزة البيانية، نفاذًا إلى الوجدان العربي وسلطانًا على عقولهم وأفئدتهم وضمائرهم.

وأول ما نزل من ذلك، آية يس المكية: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

فوضع يده عليها فسكنت".

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣٠٤/٢٦

[يس: ٦٩، ٧٠]، ونص الآية صريح في أنها تحديدٌ لصفة القرآن وبيـــانٌ لمهمته ورسالته، وليست إعلانًا عن موقف عداءٍ للشعر"(١).

وكثيرًا ما تختلط هاتان المسألتان ببعضهما في كلام الدَّارسين: مسألة نفي الشعر عن القرآن، ومسألة موقف الإسلام من الشعر، والصواب أنَّ هذه غير تلك، وأنَّ نفي الشعر عن القرآن لا يستلزم ردَّ الشِّعر جملةً وتفصيلًا؛ ولذلك جاءت آياتٌ في ختام سورة الشعراء تفصِّل موقف الإسلام من الشعر، فقال ﷻ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤- ٢٢٧].

إن مسألة نفي الشعر عن القرآن الكريم مسألة لا علاقة لها بحكم الشعر في الإسلام، وكذلك نفي صفة الشاعرية عن النبي ﷺ مسألة لا شأن لها بموقف الإسلام من الشعر، فهذان أمران يخصَّان الدعوة الإسلامية، ومصدرها الإلهي، والثقة بالنبي ﷺ، وليس فيهما ما يغضُّ من قيمة الشعر أو يحُضُّ على الانصراف عنه.

ويقول الرازي: "ما معنى قوله: وما ينبغي له؟ قلنا: قال قوم: ما كان يتأتَّى له، وآخرون: ما يتسهَّل له؛ حتى إنه إن تمثَّل بيت شعرٍ سُمِعَ منه مزاحفًا، يروى أنه كان يقول ﷺ: "ويأتيك من لم تزود بالأخبار".

وفيه وجه أحسن من ذلك: وهو أن يحمل (ما ينبغي لهـــ) على مفهومه

(١) الإعجاز البياني للقرآن ٥٣.

الظاهر، وهو أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له؛ وذلك لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن، فالشارع يكون اللفظ منه تبعًا للمعنى، والشاعر يكون المعنى منه تبعًا للفظ؛ لأنه يقصد لفظًا به يصح وزن الشعر أو قافيته، فيحتاج إلى التحيُّل لمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ، وعلى هذا نقول: الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد إلى وزنه قصدًا أوليًّا، وأما من يقصد المعنى فيصدر موزونًا مقفًّى فلا يكون شاعرًا"(١).

وما نقله الرازي هنا عن بعضهم من أنَّه ﷺ إن تمثَّل بيت شعرٍ سُمِعَ منه مزاحفًا، وأنَّه يروى أنه كان يقول ﷺ: ويأتيك من لم تزود بالأخبار، يخالف ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أصدق كلمةٍ قالها شاعر كلمة لبيد: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ ... الحديث(٢)، الذي يدلُّ على روايته ﷺ للشعر موزونًا كما قاله الشاعر، وهذا لا يعارض نفي الشعر عنه ﷺ أبدًا.

ويقول الألوسي رحمه الله (١٢٧٠هـ) في بيان الفصل بين القرآن والشعر: "لا يخفى على من به أدنى مُسكةٌ أن هذا الكتاب الحكيم المتضمن لجميع المنافع الدينية والدنيوية، على أسلوبٍ أَفْحَمَ كلَّ مِنْطِيقٍ ببيان الشعر، ولا مثل الثريا للثرى، أما لفظًا فلعدم وزنه وتقفيته، وأما معنى فلأن الشعر تخيُّلاتٌ مرغِّبة أو منفِّرة أو نحو ذلك، وهو مَقَرُّ الأكاذيب؛ ولذا قيل أعذبه

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠٤/٢٦.

(٢) البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧، ٦٤٨٩)، مسلم (٢٢٥٦).

أكذبه، والقرآن حكم وعقائد وشرائع"[1].

ولِتَنْزِيهِ القرآن الكريم عن أن يكون شعرًا، وبُعدِهِ عن طرائق الشعر أسبابٌ:

منها ما في أذهان العرب من قَرْنِ الشِّعرِ بالشيطنةِ والشَّرِّ، وصلته بالغناء، ولِمَكان القرآن من التحدي.

ولأن روح الشعر بعيدة عن الالتزام، وقد كان القرآن دعوةً ملتزمةً بِمَنهجٍ لا تحيد عنه، خالفتِ الشعرَ في الغايةِ فبعدت عن مناهجه وطرائقه[2].

وبعد هذا البيان لمسألة نفي الشعر عن القرآن والنبي ﷺ والتأكيد عليها يمكن مناقشة مسألة هذا البحث (الاتزان في القرآن) دون أدنى احتمال للقول بأنَّنا نشبِّه القرآن الكريم بالشعر، فهذه مسألةٌ محسومةٌ وقضيةٌ مُحكَمةٌ.

---

(١) روح المعاني ١٢/٤٥.

(٢) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم ٣٦، ٣٧.

المبحث الثالث

الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم

لقد أنزل الله ﷻ على رسله الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كتبًا؛ لتكون هدايةً لأقوامهم، وكان أعظم هذه الكتب القرآن العزيز الذي أنزله على خاتم رسله وصفوة أنبيائه محمد بن عبد الله ﷺ، فكان ناسخًا لجميع الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، وخصَّه بخصائص ليست فيها؛ إذ هو المحفوظ بحفظ الله ﷻ عن التحريف والزيادة والنقصان، وهو الكتاب المعجز الذي تحدَّى الله الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثله فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨]، فهو معجزٌ في شموليته وأخباره وأحكامه، ومعجزٌ في أسلوبه وبلاغته وبيانه، إلى غير ذلك من وجوه إعجازه، التي منها إعجازه الصوتي.

وإذا كان العرب يطربون إلى الجرس الجميل والتناسب الصوتي المتميِّز بفطرتهم، فإنَّ نشأتهم في تلك الصحاري والقفار الفسيحة جعلتهم يعتمدون كثيرًا على إدراكهم السمعيّ، فأصوات الرياح حين تهبُّ على أحدهم تتلقفها أذنه المرهفة، وحين يسكن الكون من حوله، يسمع خفق القلوب وَوَجِيبَهَا، ويسمع وَقْعَ الأقدام على الأرض وتوقيعها وهي على أميالٍ عديدة، فهو ذو أذنٍ واعيةٍ خفايا الهمس، فكان منطوق ألسنتهم متناغمًا مع ما فطرت عليه آذانهم التي عشقت توقيع الأصوات، فكانت العربية لغةً موزونةً في حروفها ومفرداتها وتراكيبها الفنية والموسيقية، فهي

في جملتها فنٌّ منظومٌ منسَّق الأوزان والأصوات لا تنفصل من الشعر في كلامٍ تألَّفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء، وهذه الخاصَّة في اللغة العربية ظاهرةٌ من تركيب حروفها على حدة، إلى تركيب مفرداتها على حدة، إلى تركيب قواعدها وعباراتها، إلى تركيب أعرضها وتفعيلاتها في بنية القصيد[1].

ولذلك كان أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم إعجازه الصوتي، وقد جاءت جملةٌ من الأدلة الدَّالَّة على هذا الوجه، فمنها ما جاء من الأمر بترتيل القرآن والتغنِّي به، كقول الله ﷻ آمرًا رسوله ﷺ بذلك: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:٤].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سمع رسول الله ﷺ يقول: "مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ"[2].

وكذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ"[3].

إنَّ هذه الأدلة وأمثالها دليلٌ على أهمية الجانب الصوتي في القرآن

---

(١) ينظر: العزف على أنوار الذكر ٢٢٠- ٢٢٣.

(٢) البخاري (٧٥٤٤)، مسلم (٢٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٤٩٤)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" ص٦٨ ٦٩، وابن ماجه (١٣٤٢)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي في السنن الصغرى (١٠١٥)، والسنن الكبرى (١٠٨٩)، والحاكم في المستدرك (٢٠٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٢٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٤٤٩)، والسلسلة الصحيحة (٧٧١).

وضرورة العناية به، وتكمن أهميته فيما يُحدثه من انفعال النفوس وتأثُّرها عند تلاوته وسماعه، ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق قال: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث: أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق. فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن

وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازَّينا[1] على الركب، وكُنَّا كَفَرَسَي رِهَانٍ، قالوا: منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء؛ فمتى ندرك مثل هذه؟! والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه"[2].

فهذه الرواية تدل على شدة تأثير القرآن على أكابر قريش وصناديدها مع شدة عنادهم ومعارضتهم للنبي ﷺ ولما جاء به، وإن كان أسلوب القرآن ونظمه وما اشتمل عليه من الأخبار الغيبية وقصص الأمم الغابرة هو الذي أدهشهم وبهر عقولهم، إلا أن اتِّساقه الصوتي أيضًا كان جانبًا من جوانب إدهاشه وإعجازه، "حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه والتوفُّر على الإصغاء، لا يستمهله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستَنسؤه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة"[3].

ولذلك كان سماع بعضهم للقرآن سببًا في إسلامه، كما في قصة جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا

(١) قال ابن منظور: "الحز الزيادة على الشرف؛ يقال: ليس في القبيل أحد يحز على كرم فلان أي يزيد عليه. الأزهري: قال مبتكر الأعرابي: المحازة الاستقصاء، تقول: بيننا حزاز شديد أي استقصاء، وبينهما شركة حزاز إذا كان كل واحد منهما لا يثق بصاحبه. والخزحزة: من فعل الرئيس في الحرب عند تعبية الصفوف، وهو أن يقدم هذا ويؤخر هذا". لسان العرب (فصل الحاء المهملة) ٣٣٦/٥.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ٢٧٥/١، ٢٧٦.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٤٧.

يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور:٣٥- ٣٧] كاد قلبي أن يطير، وفي رواية: "وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي"(١)، وتأمَّل قوله: "كاد قلبي أن يطير" الذي يدلُّ على شدَّة تأثير القرآن عليه.

وممَّا يؤكد هذا ما نشاهده ونسمعه من تأثُّر الأعاجم الشديد بالقرآن عند سماعهم له، وهم لا يعرفون معانيه ودلالاته، ولا يعرفون من العربية شيئًا، بل تجد الغلمان الأحداث منهم يحفظ أحدهم القرآن عن ظهر قلبٍ، وربما يبكي عند تلاوته، وهو لا يعرف شيئًا من معانيه.

إنَّ حسن تلاوة القرآن وترتيله هو أول الطريق الرئيسي إلى فقه معناه المؤدِّي إلى حسن التزام هديه أمرًا ونهيًا، ولن يتحقق لكلامٍ أن يُرتَّل وأن يُتَغَنَّى به إلا إذا كان نسقه ونظمه وجرس كلماته وموقع معانيه غَنيًا بمقومات الجمال الصوتي، وهذا ما تحقق للقرآن الكريم(٢).

ولهذا وقف العرب مبهورين عاجزين عن محاولة مجاراة القرآن، واعترفوا بأنَّ أعلى مراتب الكلام عندهم وأبلغها وهو الشعر، لا يبلغ معشار بلاغة القرآن وبيانه، ولكنهم قرروا أنَّ الشعر أقرب الأشياء التي تشترك مع القرآن في جمالياته الصوتية، مع اعتقادهم في قرارة نفوسهم أنَّه قاصرٌ جدًّا عن بلوغه، وأنَّ البنية الصوتية في القرآن مخالفةٌ للبنى الصوتية في كلامهم، ومحدثةٌ فيه نوعًا من الممازجة جرت فيها أصواته بتناغمٍ آخر، محدثة رنينًا آخر، وحفيفًا آخر، لا تجد منه شيئًا في الشعر، ولا في غير

(١) البخاري (٤٠٢٣، ٤٨٥٤).

(٢) ينظر: العزف على أنوار الذكر ٢١٢- ٢١٤.

الشعر، وإنما هو "أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر، على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالًا، فتطلب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلًا في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمّل فيه، ولا يتصنع له، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباينٌ لهذه الطرق"(١).

وهذا القدر الصوتي المشترك بين القرآن وكلام العرب شعرًا ونثرًا؛ لأنَّه نزل بألسنتهم ولغتهم التي يتفاخرون بها؛ وذلك أبلغ في التحدِّي والإعجاز، ومع كل هذا فـــ "أنت تتبين إذا أنشأتَ ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التلاوة في القرآن، مما تراعي فيه أحكامَ القراءة وطرق الأداء، فإنك لا بد ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بل ترى كأنك بهذا التحسين قد نكرتَ الكلام وغيَّرته، فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأتَ رُواءه، وأنضبت ماءه؛ لأنك تزنه على أوزانٍ لم يتسق عليها في كل جهاته، فلا تعدو أن تظهرَ من عيبه ما لم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملته، وحسبك بهذا اعتبارًا في إعجاز النظم

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ٣٥، وينظر: الإعجاز البلاغي لمحمد أبو موسى ١٩٨.

الموسيقي في القرآن"[1].

حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم، لَتَلِينُ قلوبهم وَتَهْتَزُّ عند سماعه؛ لأنَّ فيهم طبيعةً إنسانيةً، ولأنَّ تتابع الأصوات على نسَبٍ مُعيَّنةٍ بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خُلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارفٌ من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان؛ وعلى هذا وحده يؤوَّل الأثر الوارد أنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا، لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يُعدُّ نقصًا منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها[2].

وهذا هو ما سمَّاه الشيخ محمد عبد الله دراز بالجمال التوقيعي في توزيع حركات القرآن وسَكَنَاته، ومدَّاته وغُنَّاته، حيث يقول ﷺ إنَّك حين ترتِّل القرآن حقَّ ترتيله ستجد اتساقًا وائتلافًا يسترعي من سمعك ما تسترعيه من الشعر ونحوه، مع البون الشاسع بينهما؛ ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتًا بيتًا، وشطرًا شطرًا، وتسمع القطعة الغنائية فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبًا متقاربًا، فلا يلبث سمعك أن يَمُجَّهَا، وطبعك أن يملَّها، إذا أُعيدت وكُرِّرت عليك بتوقيع واحد، بينما أنت من القرآن أبدًا في تنوعٍ وتَجدّد، تنتقل فيه بين جُمَلٍ وفواصلَ على أوضاعٍ مختلفة، يأخذ منها كلُّ وَتَرٍ من أوتار قلبك بنصيبٍ سواء، فلا

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٤٨.

(٢) السابق ١٤٩.

يَعْرُوكَ منه على كثرة تَرْدَادِهِ ملالةٌ ولا سَأَم، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد[1].

إنَّ الأثر الصوتيَّ للقرآن الكريم إضافةً إلى كونه نابعًا من قدسيته وخصوصيته التي جعلها الله ﷻ له، فهو ليس كالأثر الصوتي في غيره من الكلام الذي كثيرًا ما يكون غايةً لذاته بغض النظر عن المعاني والمقامات والأحوال التي يرد فيها، بل إنَّه لا يأتي إلا متناسبًا متطابقًا متلائمًا معها، وهذه الخصوصية فيه هي حقيقة البلاغة الصوتية بعينها التي لا بد فيها من ملاحظة أمرين:

الأول: أن نتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه واعتداله إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه.

والثاني: أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال[2].

(١) ينظر: النبأ العظيم ١٣٣، ١٣٤.

(٢) ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ١١.

المبحث الرابع
تاريخ الاتّزان في القرآن وأقوال العلماء فيه

بحث المفسرون وشراح الحديث والعروضيون والبلاغيون هذه المسألة، فأما المفسرون فبحثوها عند تفسيرهم لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩]، وأما شراح الحديث فبحثوها عند كلامهم على ما ورد على لسان النبي ﷺ من الرجز، وأما العروضيون فبحثوها عند تناولهم لبحر الرجز، وأما البلاغيون فتناولوها في علم البديع: باب الانسجام في النثر؛ حيث ذكروا أنّ الانسجام إذا قوي في النثر جاءت قراءته موزونةً بلا قصد؛ لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا على أوزان البحور الشعرية، واستشهد بعضهم على ذلك بشواهد كثيرةٍ من الآيات القرآنية، وسأحاول هنا أن أعرض ما استطعتُ الوصول إليه من كلامهم حول هذه المسألة، مرتّبًا لذلك ترتيبًا زمنيًا.

وأنبِّه قبل ذلك على أنَّ إجماع هؤلاء العلماء على اختلاف مشاربهم منعقدٌ على نفي الشعر عن القرآن، ولكنَّهم يختلفون في تناولهم وتوجيههم وإجابتهم عمَّا جاء من آياته على شيءٍ من أوزان الشعر، ويمكن -فيما ظهر لي من كلامهم- تقسيمهم في هذه المسألة إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى كراهة إطلاق القول بأنَّ شيئًا من آيات القرآن جاء على شيءٍ من أوزان الشعر، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، والجاحظ (٢٥٥هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، وأبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ولكنه لا يمنع من القول بمجيء جزءٍ من آيةٍ على وزن الشعر،

ومنهم ابن العربي (٥٤٣هـ) واشتدَّ إنكاره على القائلين بوقوعه، والسكَّاكي (٦٢٦هـ).

والفريق الثاني: يرى أنَّهَ لا مانع من القول بأنَّ بعض آيات القرآن جاءت على أوزان البحور الشعرية، ولكنَّ هذا لا يعني القول بأنَّ في القرآن شعرًا البتة، وذكروا أجوبةً عن ذلك، أبرزها اثنان:

الأول: أنَّ شرط الشعر القصد كما قدَّمنا في تعريفه، ومعلومٌ أنَّ الله ﷻ مريدٌ لكلامه، وأنَّه لم يرد أن يكون شعرًا، وقد نفى ﷻ عنه هذا في غير موضعٍ من كتابه.

الثاني: أنَّ شرط الشعر أيضًا أن يكون بيتين فصاعدًا، فالبيت وجزء البيت لا يكون شعرًا، ولا يُسمَّى قائله شاعرًا.

وذكروا أجوبةً أخرى سأعرض لها في كلامهم الذي سأورده مصنّفًا لهم على مجموعاتٍ حسب علومهم التي اشتهروا بها، كما سأرتب آراءهم حسب زمن وفياتهم، مبتدئًا بالأول فالأول من كلِّ مجموعة.

أولًا: اللغويون والنحاة والعَروضيون

يرى مؤسس علم العَروض الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) أنَّ الرَّجَز المشطور والمنهوك ليسا من الشِّعر، وقيل له: ما هُما؟ قال: أنصافٌ مَسجّعةٌ، فلما رُدَّ عليه قال: لأحتجَّنَّ عليهم بحجةٍ فإن لم يقرّوا بها عسفوا، وحجته أنَّهما وردا على لسان النبي ﷺ في قوله يوم الخندق:

هل أنتِ إلاّ إصبعٌ دَميتِ؟ وفي سبيل الله ما لَقِيتِ

وقوله ﷺ يوم حنين:

أنا النَّبيُّ لا كَذب أنا ابنُ عبدِ المُـطَّلب

قال الخليل: "ولو كان شعراً ما جرى على لسانه، فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس:٦٩]"(١).

وردَّ النحاس (٣٣٨هـ) قول من قال إنَّ ما جاء على لسان النبي ﷺ من الرجز كان معربًا فيخرج بذلك عن حدِّ الشعر؛ لأنَّه سيتحرَّك آخره فيختلُّ وزنه، وقال: "وهذا مكابرة العيان؛ لأنَّ أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره"(٢)، ثم نقل الإجماع على أنَّ كل من قال قولًا موزونًا لا يقصد به إلى شعرٍ فليس بشعرٍ، وإنما وافق الشعر، وقال: وهذا قول بيّن(٣).

وكره ابن فارس (٣٩٥هـ) ذكر الآيات التي يستشهد بها بعضهم على الاتزان؛ لأنَّ الله ﷻ قد نزَّه كتابه عن شبه الشعر كما نزَّه نبيَّه ﷺ عن قوله، يقول في تعريف الشعر إنَّه: "كلام مَوْزونٌ مُقفّى دَالٌّ عَلَى معنىً، ويكون أكثرَ من بيت؛ وإنما قلنا هَذَا لأنّه جائزٌ اتِّفاقُ سَطرٍ واحدٍ بوزن يُشبه وزنَ الشِّعر عن غير قصد ... وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جلّ ثناؤه كَرِهْنا ذكرَها، وَقَدْ نزّه الله جلّ ثناؤه كتابه عن شَبه

(١) العين ٦/٦٤، ٦٥، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٠٥.

(٢) إعراب القرآن ٣/٢٧٣.

(٣) السابق في الموضع نفسه.

الشِّعر كما نزّه نبيَّه ﷺ عن قوله"[1].

والباحث مع ابن فارس ﷺ في هذا تأدُّبًا مع الله ﷻ، ولكنَّ بعض العروضيين المتأخرين بالغوا في الاستشهاد على البحور الشعرية بشواهد من القرآن الكريم فسلكوا مسلكًا في نظمها على أوزان البحور الشعرية، وقبلهم سلك الشاعر أبو نواس (١٩٨هـ) هذا المسلك حين ضمَّن بعض أبياته شيئًا من الآيات القرآنية كما ذكر ذلك عنه الباقلاني فيما سيأتي لاحقًا إن شاء الله، وهو مسلكٌ -في ظني- متساهلٌ لا يناسب التورُّع الواجب في التأدُّب مع كتاب الله ﷻ، وسأورد هنا نماذج لهذه الشواهد الشعرية أو النَّظمية استجابةً لما تقتضيه طبيعة البحث من بيان المسألة وإيضاحها بكلِّ تفاصيلها.

فمن منظومات العروضيين التي وقفت عليها:

١- رسالة في أوزان أبحر الشعر: لزين الدين أبي حفص عمر بن محمد البيريّ (٨٧١هـ)[2]، ومنها مثلًا قوله في البحر الوافر:

أوافر كيد شعري في مزيدٍ على رغم الأعادي والحسودِ

مفاعلتن مفاعلتن فعولن (ألا بُعدًا لعادٍ قومِ هودِ)[3]

٢- منظومة الشهاب الحجازي (٨٧٥هـ) التي أوردها السيد أحمد

(١) الصاحبي ٢١١.

(٢) ضمن مجموع محفوظ بجامعة الملك سعود برقم ٢/٦٥٧٨، وأورد أغلب شواهدها د. صفاء خلوصي في فن التقطيع الشعري ٣٦.

(٣) فن التقطيع الشعري ٣٦.

الهاشمي في كتابه (ميزان الذهب)، ومنها مثلًا قوله في البحر البسيط:

إِذَا بَسَطْتُ يَدِي أَدْعُو عَلَى فِئَةٍ لَامُوا عَلَيكَ عَسَى تَخْلُو أَمَاكِنُهُمْ

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم[1]

٣- منظومة أخرى للشهاب الحجازي أيضًا سمّاها: (قلائد النحور من جواهر البحور)[2]، وقد أورد فيها تسعةً وأربعين شاهدًا من القرآن الكريم على البحور الشعرية، وقد بلغت شواهد البحور التامة ثلاثين شاهدًا، أكثرها من بحر الخفيف (ستة شواهد)، ثم بحر الرجز وبحر السريع لكلٍّ منهما أربعة شواهد، ثم بحر البسيط وبحر الرمل لكلٍّ منهما ثلاثة شواهد، وبلغت شواهد مجزوءات البحور سبعة عشر شاهدًا، أكثرها من بحر الرمل (ستة شواهد)، ثم بحر المديد وعليه شاهدان، كما ذكر الحجازي شاهدًا واحدًا للمشطور، وشاهدًا واحدًا للمنهوك، وبهذا يظهر أن أكثر الشواهد جاءت على بحر الرمل، وهي تسعة شواهد[3]، ومن هذه المنظومة قوله في البحر الطويل:

أيا مَن طويل الليل بالنوم قصَّروا أنيبوا وكونوا من أناسٍ به تـــاهُوا

وإن شئتموا تحَيوا أميتوا نفوسكم (ولا تقتلوا النفس التي حرَّم اللهــ)[4]

---

(١) ينظر: ميزان الذهب ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

(٢) وقد حقق في رسالة علمية في كلية الآداب بجامعة طنطا تقدم بها د. عهدي إبراهيم السيسي، ولدي مصورة منها.

(٣) ينظر: قلائد النحور ٥٥٢.

(٤) السابق ٥٦٨.

وقوله في البحر البسيط:

يا سيِّد الرسْل والبحر البسيط ويا مَن فضل همَّتِه تسمـــوا به الهممُ

بُعثتَ خـــــاتمَ رسْلِ اللهِ كلِّهِمِ (في أمَّةٍ قد خلَتْ من قبلها أمَمُ)[1]

٤- لذيذ الطرب بنظم بحور العرب للشيخ محمد عياد بن سعد الطنطاوي (١٢٧٨هـــ)[2]، ومنها قوله مثلًا في البحر الخفيف:

وخفيفٌ له عذولٌ ثقيلٌ شبَّ نار الهموم حين تكلَّمْ

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن (ربَّنا اكشفْ عنَّا عذابَ جهنَّمْ)[3]

ثانيًا: المفسرون وعلماء الإعجاز

وذكر الخطابي (٣٨٨هـــ) الخلاف فيما جاء على وزن الشعر من كلام النبي ﷺ، ممَّا هو معدود في الرجز، وأشار إلى القولين السابقين في كلام النحاس، كما ذكر أنَّه قد وُجد في كلام الله ﷻ شيءٌ من هذا، وقال فيه: "وهو ما لا يشك فيه أنه ليس بشعر، وإن اتزن الكلام فيه بزنة الشعر"، كما نقل شيئًا من كلام الجاحظ في هذا، ثم قال: "والبيت الواحد من الشعر لا يلزمه هذا الاسم -يعني اسم الشعر-، ولا يوجب أن يكون به شاعرًا ... وإنما الشاعر هو الذي يقصد الشعر، ويشبِّب، ويصف، ويمدح،

---

(١) السابق ٥٧٠.

(٢) وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية، ولدي مصورة منه، وذكر محقق قلائد النحور أنه منشور بتحقيق: طراف طارق النهار، بمركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ٢٠٠٧م.

(٣) لذيذ المطرب ٣.

ويتصرف تصرُّف الشعراء في هذه الأفانين، وقد برأ الله رسوله من ذلك، وصان قدره عنه، وأخبره أن الشعر لا ينبغي له، وإذا كان مراد الآية -يعني قول الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]- هذا المعنى لم يدفع أن يجري على لسانه الشيء اليسير، منه فلا يلزمه الاسم المنفي عنه، والله أعلم"[١]، ونقل كلامه الملا علي القاري (١٠١٤هـ)[٢] مقرِّرًا له.

ويُعدُّ القاضي أبو بكر الباقلاني ﷺ (٤٠٣هـ) أكثر من توسَّع من المتقدمين في تناول هذه المسألة[٣]، وذلك حين عقد فصلًا في كتابه (إعجاز القرآن) في نفي الشعر من القرآن، ونقل كلام القائلين بوجود شعرٍ كثيرٍ في القرآن واصفًا لقولهم بالزعم، وكأنه ينكر هذا القول، فذكر مجموعةً كبيرةً من شواهدهم على ذلك، بعضهما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة، وبعضها يزعمون أنه شطر بيت، وممَّا يزعمون أنه شطر بيت قول الشاعر:

قد قلت لما حاولوا سلوتي (هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعَدُونْ)

ومما يزعمون أنه بيت قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]، قالوا: هو من الرمل، من البحر الذي قيل فيه:

ساكن الريح نطوف مزن منحل العزالِي

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [فاطر:١٨][٤] كقول

---

(١) أعلام الحديث ١٣٥٩/٢- ١٣٦٢.

(٢) مرقاة المفاتيح ٣٠١٤/٧.

(٣) أنصح بالرجوع إلى كلامه كاملًا؛ ففيه حجاجٌ ومناقشة نفيسة.

(٤) هكذا أورد الباقلاني هذه الآية دون الواو في أولها؛ لتستقيم مع وزن البحر الخفيف.

الشاعر من بحر الخفيف:

كل يوم بشمسه وغدٌ مثل أمسه

وكقوله عزوجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، قالوا: هو من المتقارب، وكقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ۝١٤﴾ [الإنسان:١٤]، ويشبعون حركة الميم، فيزعمون أنه من الرجز، وذكر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك شعرًا، وهو قوله:

وفتيةٍ في مجلسٍ وجوههم ريحانُهم قد عَدِموا التثقيلا

دانيةً عَلَيْهِمُ ظلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْليلا

وقوله عز وجل: ﴿وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ۝١٤﴾ [التوبة:١٤]، زعموا أنه من الوافر، كقول الشاعر:

لنا غنمٌ نُسَوِّقُها غِزار كأنّ قرونَ جلّتها عصيُّ

وكقوله عز وجل: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون:١، ٢]، ضمنه أبو نواس في شعره ففصل، وقال: فذاك الذي، وشعره:

وقرا مُعلنًا ليصـــدعَ قلبي والهوى يصدعُ الفؤاد السقيمَا

أرأيت الذي يُكذّبُ بالديـــ ـــن فـــذاك الذي يَدُعُّ اليتيمَا

وكما ضمنه في شعره من قوله:

سبحان من سَخّر هذا لنا (حقًّا) وما كنا له مُقْرنين

وكما يقولونه في قوله عز وجل: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ [العاديات:١، ٢]، ونحو ذلك من القرآن كثير، كقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [الذاريات:١- ٣]، وهو عندهم شعر من بحر البسيط.

ثم أجاب الباقلاني عن هذه الدعوى بأجوبة أشار إلى أنها أجوبة أجاب بها العلماء قبله، وهي:

أولًا: أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن فعارضوه كانوا أساطين الشعر وأهل الفصاحة، ومع ذلك لم يقولوا شعرًا يزعمون أنه مثل القرآن مع سهولة الشعر عليهم، وشدة حاجتهم إلى المعارضة، فلما كان الأمر كذلك علم أن القرآن ليس بشعر أبدًا.

وفي رأيي أن هذا الجواب صالح لمسألة نفي الشعر عن القرآن، وأما مجيء بعض آياته على أوزان الشعر فواردٌ، ولا يمكن ردُّه بمثل هذا.

ثانيًا: أنَّ البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرًا، وأقلّ الشعر بيتان فصاعدًا، وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام.

وقيل: إنَّ ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما فليس بشعر، بل قيل: إنَّ أقل ما يكون منه شعرًا أربعة أبيات، بعد أن تتفق قوافيها، و لم يتفق ذلك في القرآن بحال.

فأمَّا دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات، فليس بشعر، وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الرَّوِي، ويقولون: إنه متى اختلف الرَّوِي خرج عن أن يكون شعرًا.

ثالثًا: أن الرجز ليس بشعر أصلًا، لا سيما إذا كان مشطورًا أو منهوكًا، وكذلك ما كان يقاربه في قلة الأجزاء، وعلى هذا يسقط السؤال.

رابعًا: إنَّ الشعر إنما يطلق متى قصد القاصد إليه على الطريق الذي يعتمد ويُسلك، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء، دون ما يستوي فيه العامِّيُّ والجاهل، والعالِمُ بالشعر واللسان وتصرُّفِه وما يتَّفقُ من كلِّ واحدٍ[1].

وتناول الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، وأبو القاسم الكرماني (٥٣١هـ) هذه المسألة، ولم يذكرا مزيدًا على كلام الباقلاني[2].

وأمَّا الزمخشري (٥٣٨هـ) فتناول المسألة عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩] كما هو حال كثير من المفسرين، وقال: "القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء، وأين هو عن الشعر؟ والشعر إنما هو كلام موزون مقفًّى، يدلُّ على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟ فإذن: لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققتَ، اللهمّ إلا أنّ هذا لفظه عربي، كما أنّ ذاك كذلك"[3]، وكلامه هذا بعضه متفقٌ عليه، وهو ما يتعلق بالبون الشاسع بين معاني القرآن ومعاني الشعراء، وكذلك التقفية، وأما الوزن فهو مسألتنا هذه التي

(١) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني ٥١- ٥٦.

(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤٦/١، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ٩٦٦/٢.

(٣) الكشاف ٢٦/٤.

وقع فيها الاختلاف.

ويرى الزمخشري أنَّ اتفاق بعض ما جاء عن النبي ﷺ مع أوزان الشعر لا يجعله شعرًا؛ لعدم القصد إلى ذلك، فيقول: "ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمى به على السليقة، من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه أن جاء موزونًا، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرًا، ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز، على أن الخليل ما كان يعدّ المشطور من الرجز شعرًا"(١).

وأمَّا ابن العربي (٥٤٣هـ) فتناول المسألة أيضًا عند تفسير آية سورة يس المذكورة آنفًا، وأشار إلى ظهور النبي ﷺ على فصحاء العرب وبلغائهم لما وهبه الله ﷻ واختصَّه به من جعل فصاحة القرآن معجزةً له، ودلالةً على صدقه، وهذا مع حجب الشعر عنه فلا يستطيعه، وسلب الكتابة عنه كذلك وإبقائه على حكم الأمية؛ تحقيقًا لهذه الحالة، وتأكيدًا لمعجزته.

ثم تكلَّم عن مسألة إعجاز القرآن وخروجه عن أنواع كلام العرب، وخصوصًا عن وزن الشعر؛ إذ لم يجرِ على شيءٍ من بحور العروض الخمسة عشر، ولا في زيادات المتأخرين عليها، كما قال أخو أبي ذر لأبي ذر رضي الله عنه:

---

(١) السابق ٤/٢٧.

لقد وضعت قوله على أقوال الشعراء فلم يكن عليها[1].

وقال: "ولقد اجتهد المجتهدون في أن يجروا القرآن أو شيئًا منه على وزنٍ من هذه الأوزان فلم يقدروا، فظهر عند الولي والعدو أنه ليس بشعر ... وقد اعترض جماعةٌ من فصحاء الملحدة علينا في نظم القرآن والسنة بأشياء أرادوا بها التلبيس على الضعفة، منها قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة:١١٧]، وقالوا: إنَّ هذا من بحر المتقارب، على ميزان قوله:

فَأَمَّا تميمٌ تميم بن مرٍّ فألفاهم القوم رؤوسًا نيامًا

وهذا إنما اعترض به الجاهلون بالصناعة؛ لأن الذي يلائم هذا البيت من الآية قوله: (فلما) إلى قوله: (كل)، وإذا وقفنا عليه لم يتم الكلام، وإذا أتممناه بقوله: (شيء شهيد) خرج عن وزن الشعر، وزاد فيه ما يصير به عشرة أجزاء كلُّها على وزن فعولن، وليس في بحور الشعر ما يخرج البيت منه من عشرة أجزاء، وإنما أكثره ثمانية"[2]، ثم ذهب على هذه الطريقة من تعقُّب المستشهدين بهذه الآيات وإبطال استشهادهم من خلال الصناعة العروضية، وتقرير أنَّه لا يتمُّ لهم ذلك إلا بزيادةٍ أو نقصٍ في الآية ليستقيم لهم القول بأنَّها على شيءٍ من الأوزان الشعرية.

وفي أثناء كلامه يستدرك فيقول: "وكلامهم هذا يقتضي أن تكون كلُّ

---

(١) جاء هذا في قصة إسلام أبي ﷺ، والحديث بتمامه في صحيح مسلم (٢٤٧٣) عن أبي ذر ﷺ، بلفظ (أقراء) بمعنى الطرق والأنواع.

(٢) أحكام القرآن ٤/ ٢١.

واحدة من هذه الآيات على وزن بعض بيت، وهذا مما لا ننكره وإنما ننكر أن تكون آية تامة، أو كلام تامٌّ من القرآن على وزن بيت تام من الشعر"[1].

ويقول: "ولا ينكر أحد أن يكون بعض آية على مثال قول الشعر، كقوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، فهذا على نصف بيت من الرجز، كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النجم:٣٤]، على نصف بيت من المتقارب المستمر، وهذا كثير"[2].

وردَّ ابن العربي ﷺ كذلك على ما ادَّعوه من قول النبي ﷺ للشعر مستشهدين لذلك بالأرجاز التي ذكرناها سابقًا، واستعان في ردِّه بقول الأخفش والخليل بأنَّ الرجز عمومًا أو ما جاء منه على جزأين فليس بشعر، ثم يردُّ على هذا الادعاء أيضًا بأنَّ تلك الشواهد لا يتمُّ الاستشهاد بها إلا بتحريك آخرها بالإعراب، فأمَّا إذا سُكِّنت لم تصلح للاستشهاد بها شعرًا.

ثم يختم حديثه في هذه المسألة بإجابة العلماء قبله عنها، فيقول: "وقد أجاب عن ذلك علماؤنا بأنَّ ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرًا، وإنما يعدُّ منه ما يجري على وزن الشعر ومع القصد إليه، فقد يقول قائل: حدثنا شيخٌ لنا، وينادي: يا صاحب الكساء، ولا يعدُّ هذا شعرًا.

وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامَّة العقلاء: اذهبوا

---

(١) السابق ٤/ ٢٤.

(٢) السابق ٤/ ٢٥.

بي إلى الطبيب، وقولوا قد اكتوى، وبهذا وسواه يتبين صحة الآية معنى، وبطلان ما موَّهوا به قطعًا"[1].

وتظهر غيرة ابن العربي المعروفة عنه وغضبه ﷺ في ردِّه على هذه الشبهة من خلال بعض العبارات، كقوله مثلًا: "هذه مغالطة"، وقوله: "وهذا فاسد"، وقوله: "زعموا أرغمهم الله".

وتناول الرازي (٦٠٥هـ) هذه المسألة في تفسيره لآية يس أيضًا، وفرَّق بين الشاعر وغيره بأنَّ الشاعر يقصد إلى اللفظ والوزن قصدًا أوَّليًّا، وأمَّا غيره فإنَّه يقصد إلى المعنى وربما وافق لفظه ووزنه لفظ الشعر ووزنَه فلا يمكن أن يكون كلامه شعرًا هكذا فقط، وخرَّج على هذا الآيات المتفقة مع أوزان الشعر، أو ما جاء على لسان النبي ﷺ من الكلام، مع أنَّه يحتمل ألا يكون من كلامه ﷺ، وإنما تمثَّله ونقله عن غيره؛ ولذلك ربما حصل في نقله تقديم أو تأخير للألفاظ[2].

ونقل القرطبي (٦٧١هـ) آراء النحاس والأخفش وابن العربي في هذه المسألة، ووافقهم في ذلك، وصرَّح أنَّ إصابته ﷺ الوزن أحيانًا لا يوجب أنه يعلم الشعر، فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن، وفي كل كلام، وليس ذلك شعرًا ولا في معناه[3].

وتناول أبو حيان (٧٤٥هـ) هذه المسألة في تفسير آية سورة يس

---

(١) السابق ٤/٢٦، ٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/٣٠٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥١- ٥٥.

كغيره من المفسرين، وأبطل ما رمى به الكفار النبيَّ ﷺ من الوصف بالشاعرية، فقال: "وأين هو من الشعر؟ والشعر إنما هو كلامٌ موزونٌ مقفًّى يدلُّ على معنًى تنتخبه الشعراء من كثرة التخييل وتزويق الكلام، وغير ذلك مما يتورَّع المتديِّن عن إنشاده، فضلًا عن إنشائه"(١)، وذكر أنَّ ما رُوي عن النبيِّ ﷺ من الأبيات الشعرية لا يخلو من أحد أمرين:

الأول: أن ينشد شعرًا لغيره مع تغييره لوزنه بما يخرجه عن مسمَّى الشعر.

والثاني: أنَّ ﷺ ربما أنشد ﷺ شعرًا متَّزنًا، وهذا نادر، ولا يدلُّ إجراء البيت على لسانه متزنًا أنَّه يعلم الشعر، فقد وقع في كلامه ﷺ ما يدخله الوزن، وهو كلام من جنس كلامه الذي كان يتكلم به على طبيعته، من غير صنعة فيه ولا قصدٍ لوزنٍ ولا تكلُّف، كما يوجد في القرآن شيءٌ موزونٌ ولا يعدُّ شعرًا، وفي كثيرٍ من النثر الذي تنشئه الفصحاء، ولا يسمَّى ذلك شعرًا، ولا يخطر ببال المنشئ له ولا السامع أنَّه شعر(٢).

ونقل الزركشي (٧٩٤هـ) عن الباقلاني أكثر كلامه في هذه المسألة، وخلاصة رأيه فيها قوله: "وأمَّا ما حكي عنه ﷺ من ألفاظ الوزن فالجواب عنها من وجهين:

أحدهما: أنه لم يقصد بها الشعر، ومن حقيقةِ الشعرِ قَصْدُهُ، قال ابن فارس: الشعر كلامٌ موزونٌ مقفًّى دالٌّ على معنى، ويكون أكثر من بيت؛

---

(١) البحر المحيط ٩/ ٨٠، ٨١.

(٢) ينظر: السابق في الموضع نفسه.

لأنه يجوز اتفاق شطرٍ واحدٍ بوزنٍ يشبه وزنَ الشعر من غير قصد.

والثاني: أنه ﷺ كان إذا أنشد شيئًا من ذلك غيّره"[1].

ويخالفه النيسابوري (٨٥٠هـ) في ذلك حين يقرِّر أنَّ ما جاء في القرآن على أوزان الشعر نادرٌ جدًّا، فيقول: "انتفاء الشعرية عن القرآن أمرٌ كالبيِّن المحسوس، أمَّا من حيث اللفظ فظاهرٌ؛ لأنَّ الشعر كلامٌ موزونٌ مقفًّى، وألفاظ القرآن ليست كذلك إلا ما هو في غاية النُّدرة بطريق الاتفاق من غير تعمُّد، وأمَّا من جهة التخيُّل فلأنَّ القرآن فيه أصول كلِّ المعارف والحقائق والبراهين والدلائل المفيدة للتصديق إذا كان المكلف ممن يصدق ولا يعاند"[2].

وعرّف السيوطي رحمه الله (٩١١هـ) الانسجام، وذكر أنَّ من شواهده ما جاء في القرآن على وزن الشعر ...، ثم فرّق بين القرآن والشعر، وقال: "وأما ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه: أنَّ ذلك لا يُسَمَّى شعرًا؛ لأنَّ شرط الشعر القصد"، ثمَّ نقل كلام الباقلاني[3].

ويرى الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠هـ) أنَّ ما جاء على لسان النبي ﷺ من النظم الموزون فإنّما "هو من الاتفاق الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن، وليس بشعرٍ ولا مراد به الشعر، بل اتفق ذلك اتفاقًا كما يقع في كثير من كلام الناس، فإنهم قد يتكلمون بما لو اعتبره معتبرٌ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١١٢/٢-١١٨.

(٢) غرائب القرآن ٥٤٤/٥

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢٩٦/٣، معترك الأقران ٢٩٢/١.

لكان على وزن الشعر، ولا يَعُدُّونَهُ شعرًا، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢]، وقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]"[١].

ثالثًا: شُرَّاح الحديث

رجَّح القاضي عياض ﷺ (٥٤٤هـ) الجواب عما وقع في القرآن من الموزون؛ وأنه ليس بشعر؛ لأنه لم يقصد إلى تقفيته وجعله شعرًا، كقوله ﷻ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:١٣]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وقال: "ولا شك أنَّ هذا لا يسميه أحدٌ من العرب شعرًا لما قلناه"[٢].

وفرّق ابن الجوزي ﷺ (٥٩٧هـ) بين قول الشعر والتمثُّل به، وهو ما كان من النبي ﷺ، وأمَّا ما نسب إليه منه فإنَّه لا يعد شعرًا؛ لعدم القصد، وكذلك ما جاء من القرآن على ذلك[٣].

ونقل ابن الملك (٨٥٤هـ) عن التوربشتي (٦٦١هـ) قوله: "إنَّ القول ربما صدر عن صاحبه مستقيمًا على وزن الشعر من غير تعمُّدٍ منه، فلا يعدُّ ذلك عليه شعرًا، ثم إنَّه رَجَزٌ، والرَّجَز خارجٌ من جملة ما يتعاطاه الشعراء على القوانين الموضوعة في العَروض"[٤].

---

(١) فتح القدير ٤/٤٣٥.

(٢) إكمال المعلم ٦/١٣١.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/٢٤٣.

(٤) شرح مصابيح السنة ٦/٣١٤، ٣١٥.

رابعًا: البلاغيون والنُّقَّاد

عقد الجاحظ (٢٥٥هـ) بابًا في الأسجاع في الكلام، وردَّ فيه على من زعم أنَّ قول الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، وقول النبي ﷺ:

هل أنتِ إلاّ إصبعٌ دَميتِ؟ وفي سبيل الله ما لَقِيتِ

جاءا على وزن الشعر، فقال: "فيقال له: اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم، لوجدت فيها مثل: مستفعلن مستفعلن كثيرًا، ومستفعلن مفاعلن، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرًا، ولو أنَّ رجلاً من الباعَة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن: مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعرًا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟! ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام.

وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها، كان ذلك شعرًا، وهذا قريب، والجواب سهل بحمد الله.

وسمعت غلامًا لصديق لي، وكان قد سقي بطنه، وهو يقول لغلمان مولاه: اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى، وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج: فاعلاتن مفاعلن، فاعلاتن مفاعلن، مرتين، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبدًا، ومثل هذا كثير، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته"[1].

(١) البيان والتبيين ١/٢٤٠، ٢٤١.

ويتضح من كلام الجاحظ أنَّه ينكر القول بمجيء شيءٍ من آيات القرآن على أوزان الشعر، وما يكون من الاتفاق بينها وبين تلك الأوزان الشعرية أمرٌ شائعٌ في كلام الناس، ولا تخلو منه أحاديثهم ومحاوراتهم.

كما أنَّ إشارة الجاحظ إلى آية سورة المسد هي أول شاهدٍ على الاتزان وجدته في كلام العلماء، وقد أوردها في معرض الردِّ على من قال بأنَّها على وزن الشعر لا استشهادًا منه بها على هذا، ويدلُّ هذا على أنَّ القول بالاتزان سابقٌ زمن الجاحظ، ولكني لم أستطع الوصول إلى أحدٍ قال بذلك.

وأمَّا أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) فقد عرَّف الانسجام بأنَّه: "أن يأتي كلام المتكلم شعرًا من غير أن يقصد إليه، وهو يدلُّ على قوة الطبع والغريزة"[1]، و لم يستشهد له بشيء من القرآن.

وفي القسم الثالث المتعلق بالمعاني والبيان من كتابه مفتاح العلوم عقد السكَّاكي (٦٢٦هـ) فصلًا في العروض والقوافي، بدأه ببيان المراد بالشعر، وشرط الشعر عنده أن يكون مقصودًا، وأن يزيد على ثلاثة أبيات، وردَّ على الطاعنين في القرآن، ونفى مجيئه على شيءٍ من أوزان الشعر، يقول: "ثم اختلف فيه –أي الشعر– فعند جماعة أن لابد فيه من أن يكون وزنه لتعمُّد صاحبه إياه، والمراد بتعمد الوزن هو أن يقصد الوزن ابتداء، ثم يتكلم مراعيًا جانبه، لا أن يقصد المتكلم المعنى وتأديته بكلمات لائقة من حيث الفصاحة في تركيب لتلك الكلمات توجيه البلاغة، فيستتبع ذلك

(١) البديع في نقد الشعر ١٣١.

كون الكلام موزونًا، أو أن يقصد المعنى ويتكلم بحكم العادة على مجرى كلام الأوساط فيتفق أن يأتي موزونًا، وعند آخرين أن ذاك ليس بواجب، لكن يلزمه أن يعدَّ كلُّ لافظٍ في الدنيا شاعرًا؛ إذ ما من لافظٍ إن تَتَبَّعتَ إلا وجدتَ في ألفاظه ما يكون على الوزن، أوَ ما ترى إذا قيل لباذنجاني: بكم تبع ألف باذنجانة؟ فقال: أبيعها بعشرة عدليات، كيف تجد القولين على الوزن؟ أو إذا قيل لنجار: هل تمَّ ذاك الكرسي؟ فقال: نعم؛ فرغت منه يوم الجمعة، كيف تجد الأول في الأوزان والثاني أيضًا؟ وعلى هذا إذا قيل لجماعة: مَنْ جاءكم يوم الأحد؟ فقالوا: زيد بن عمرو بن أسد.

وتسمية كلِّ لافظٍ شاعرًا مما لا يرتكبه عاقلٌ عنده إنصاف، فالصحيح هو الرأي الأول، لا يقال: فيلزم أن يجوز فيمن قال قصيدةً أو قطعةً ألَّا يسمى شاعرًا، بناءً على تجويز ألا يكون تعمَّدَ ذلك، وامتناعه ظاهر؛ فالجواب هو: أنَّ العقل يصحِّحُ الاتفاق في القليل دون الكثير"(١).

وتناول ابن أبي الأصبع (٦٥٤هـ) هذه المسألة في كلامه عن فنِّ الانسجام، حيث يقول فيه: "وهو أن يأتي الكلام متحدِّرًا كَتَحَدُّرِ الماء المنسجم، سهولةَ سبكٍ وعذوبةَ ألفاظٍ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقعٌ في النفوس وتأثيرٌ في القلوب ما ليس لغيره، مع خُلُوِّه من البديع، وبُعْدِه عن التصنيع، وأكثر ما يقع الانسجام غيرَ مقصودٍ، كمثل الكلام المتَّزِن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفوًا كمثال أشطارٍ وأنصافٍ وأبياتٍ وقعت في أثناء الكتاب العزيز ورُويت عن الرسول

(١) مفتاح العلوم ٥١٦، ٥١٧.

ﷺ، فإنْ وَقَعَ من ذلك في غير القرآن بيتان فصاعداً سُمِّي ذلك شعراً وإن لم يُقصَد، وأمَّا القرآن العزيز فلم يقع فيه إلا مثالُ النصف، أو البيت الواحد، والبيت المفرد لا يسمى شعراً، وعلى ذلك أدلةٌ لا يتَّسع هذا المكان لذكرها، وقد أتيت بها مستقصاةً في كتابي المنعوت بالميزان الذي شرعت في عمله، أرجِّح فيه بين كلام قدامة وبين كلام خصومه"(١)، ثم ذكر ابن أبي الإصبع شواهد على الانسجام من القرآن والحديث والشعر، ومن شواهده القرآنية عنده قول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٦، ٨٧]، وقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣]، وقال بعد ذلك: وأكثر القرآن من شواهد هذا الباب، ولكنَّه لم يشر إلى أوزان البحور الشعرية التي جاءت عليها كما صنع غيره.

وحين عرَّف ابن الدماميني (٨٢٧هـ) الشعر بأنَّه: كلامٌ وُزِنَ على قصدٍ بوزنٍ عربيٍّ، قال: "وقولنا (على قصد): يخرِج ما كان وزنه اتفاقيًا، كآياتٍ شريفة اتفق جريان الوزن فيها كذلك ... فمثل ذلك لا يسمى شعراً، نعوذ بالله من ذلك، وكذا لو وقع من متكلمٍ لفظٌ موزونٌ لم يقصد

(١) بديع القرآن ١٦٦، ١٦٧، وتحرير التحبير ٤٢٩- ٤٣٢.

كونه على طريقة الموزون كما يتفق لكثير من الناس، ويقع مثل ذلك حتى لعوامّ لا شعور لهم بالشعر، ولا إلمامٌ لهم بالوزن البتة"[1].

وذكر ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) في حديثه عن الانسجام شواهد كثيرةً على الاتزان من القرآن، قال: "وإن كان الانسجام في النثر، يكون غالب فقراته موزونة، من غير قصد لقوة انسجامه، وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد، في بيوتٍ وأشطار بيوت"[2].

ويرى الشيخ مرعي الحنبلي ﷺ (١٠٣٣هـ) أنَّ أكثر القرآن من شواهد هذا الباب[3].

وتناول ابن معصوم ﷺ (١١١٤هـ) هذه المسألة عند فنِّ الانسجام، وذكر أنَّه إذا قَوِيَ في النثر جاءت فقراته موزونة من غير قصد، كما وقع في كثير من آيات القرآن العظيم، حتى وقع فيه من جميع البحور المشهورة أبياتٌ وأشطار أبيات، وذكر ستةً وثلاثين شاهداً من تلك الآيات القرآنية على هذا، وقال بعد ذلك: "وإذا تأملتَ اشتمال القرآن العظيم على جميع أوزان هذه البحور المذكورة، بل وعلى غيرها مما لم نذكره علمت أنَّ ذلك كلَّه مُندَرِجٌ تحت قوله -عَلَتْ كلمتُه وعظُمتْ قدرتُه- ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] وقوله

(١) العيون الغامزة ٣.

(٢) خزانة الأدب ٤١٧/١، وللاطلاع على الشواهد التي أوردها ابن حجة ينظر فيه أيضًا: ١/ ٤١٧- ٤٢٠.

(٣) القول البديع في علم البديع ١٥٨.

سبحانه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[غافر:٣]"[1].

خامسًا: ترجيح بعض المحققين

سأذكر هنا رأي عالمين من العلماء المحققين في هذه المسألة، أحدهما من المتقدمين والثاني من المعاصرين، وهما شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، والعلامة عبدالرحمن بن ناصر البراك حفظه الله[2].

فأما شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ﵀ فقد عرض لهذه المسألة في معرض ردِّه على قول الرافضة: إنَّ عليًّا ﵁ هو منبع الفصاحة، وأنَّ كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ومنه تعلَّم الخطباء، حيث عقد فصلًا بيَّن فيه فضل عليٍّ ﵁ وفصاحته، ولكنه ﵁ لم يكن هو الوحيد، بل كان الخطباء الفصحاء كثيرين في العرب قبل الإسلام وبعده، وجماهير هؤلاء لم يأخذوا عن عليٍّ ﵁ شيئًا، يقول ﵀: "فقول القائل: "إنَّه منبع الفصحاء" كذبٌ بيِّن، ولو لم يكن إلا أنَّ النبي ﷺ كان أخطب منه وأفصح، و لم يأخذ منه شيئًا، وليست الفصاحة التّشدُّقَ في الكلام، والتقعيرَ في الكلام، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطبة عليٍّ ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلّف الأسجاع، ولا تكلّف التّحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ، الذي يُسمّى علم البديع، كما يفعله المتأخرون من

---

(١) أنوار الربيع ٤/٥-٩.

(٢) هو الشيخ العلامة الزاهد عبدالرحمن بن ناصر البراك، ولد في البكيرية عام ١٣٥٢ه، ذهب بصره في التاسعة من عمره، تتلمذ على مشايخ كثر، من أبرزهم: الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله، رُشِّح للقضاء والإفتاء فاعتذر مرارًا، وله مؤلفات ودروس وشروح كثيرة جدًا، متّع الله به، ونفع بعلمه.

أصحاب الخطب والرسائل والشعر.

وما يوجد في القرآن من مثل قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤]، و ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ [العاديات:١١] ونحو ذلك، فلم يتكلف لأجل التجانس، بل هذا تابعٌ غير مقصودٍ بالقصد الأول، كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، و لم يقصد به الشعر، كقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٣]، وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر:٤٩]، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح:٢، ٣]، ونحو ذلك"[1].

وآخر كلامه رحمه الله لإبطال ما نسبوه إلى عليٍّ رضي الله عنه من الخطب وغيرها في كتاب نهج البلاغة ونحوه، وكان الغالب عليها تكلُّف الأسجاع ونحوها ممَّا لا يقصد إليه البلغاء ابتداءً، كما أنَّه يقرِّر فيه جواز القول بوجود آياتٍ في القرآن جاءت على أوزان الشعر، ولكنها لا يمكن أن تُسمَّى شعرًا؛ لعدم قصد الشعر.

وأما العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله فقد وجَّهت له سؤالًا عن هذه المسألة، وهذا نص السؤال وجوابه:

نص السؤال: "فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فأسأل الله أن يحفظكم

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٥٣، ٥٤.

بحفظه، وأن يمدكم بعونه وتوفيقه.

وإنَّ من الفنون البديعية عند البلاغيين ما يسمى بالانسجام أو الاتزان، وهو أن يكون الكلام لخُلُوِّه من العقادة، منحدراً كَتَحَدُّرِ الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة.

قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد؛ لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا عند من يقول به- على أوزان البحور الشعرية: فمنه من بحر الطويل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، ومن المديد: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]، ومن الوافر: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة:١٤]، ومن الكامل: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور:٤٦].

وقد وجدت في كلام العلماء اختلافًا في جواز القول بهذا القول في القرآن، فمنهم من يرى أنه لا بأس بذلك؛ لأن الشعر لا يكون شعراً إلا إذا قصد به الشعر وكان بيتًا شعريًا كاملًا لا شطر بيت أو أقل، قال شيخ الإسلام: " كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، ولم يقصد به الشعر؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]، وقوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر:٤٩]، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [الشرح:٢، ٣]، ونحو ذلك. (١)

وأنكر بعضهم ذلك، وقالوا إن الشواهد المذكورة لا تنتظم على أوزان الشعر، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ﴾ [يس:٦٩]، والذين أثبتوا ذلك قالوا: لا يمكن أن يكون شيء في القرآن غير مقصود لله تعالى؛ فما رأي فضيلتكم في هذا المسألة؟ وجزاكم الله خيرًا، ومتعكم بالصحة والعافية.

نص الجواب: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته:

الجواب: الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: فقد نفَى الله عن نبيه ﷺ أن يكون شاعرا، ونزَّهه عمَّا نسبه إليه المشركون، وجعل الله ذلك من منكر أقوالهم، قال سبحانه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور:٣٠]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩﴾ [يس:٦٩]، فعُلم من هذه الآيات أن النبي ﷺ ليس بشاعر؛ فما جاء به من القرآن ليس بشعر، وليس شيء منه شعرًا، واشتمال القرآن على جمل توافق بعض أوزان الشعر لا يكون النبي بها شاعرًا، ولا يكون الله علَّمه الشعر، وهذه الآيات المذكورة في السؤال وما أشبهها لا يصدق عليها اسم الشعر عند العرب، ولم يدَّع العرب ذلك على الرسول ﷺ، وغاية ما ورد في القرآن شطر بيت، أو وزن بيت واحد.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٥٤، ٥٣.

ومن المعلوم أن ما جاء على لسان المتكلم على وزن من أوزان الشعر اتفاقاً لا يسمونه شعرًا، ولا يسمون من جرى ذلك على لسانه شاعرًا؛ فإن ذلك يجري على بعض الألسنة، حتى إنه يقع في كلام العامة، كقولهم: افتح الباب وجئني بالحطب، وقولهم: من يشتري الباذنجان؟

ولهذا اشترط القصد في تعريف الشعر، فلا بد أن يكون الكلام مقصودًا، وكونه شعرًا مقصودًا أيضًا، فخرج بالجملة الثانية ما لم يُرِد فيه المتكلم الشعر، ومعلوم أن الله مريدٌ ما تكلم به، أي أنه تعالى مريدٌ أن يكون كلامه على هذا الوجه من التركيب، ولم يُرد أن يكون شعرًا، وعلى هذا فلا يجوز أن يقال في شيء من آي القرآن: إنه شعر؛ لموافقة التركيب بعض بحور الشعر.

ومما يوضح الأمر في هذا المقام أنه يجب أن يفرَّق بين قصد الشعر، وقصد التركيب الموافق لبعض أوزان الشعر، فيكون التركيب مقصودًا للمتكلم، ولكنه لم يقصد به الشعر، فمثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:٩٢] هذا التركيب مراد لله كسائر كلامه، غيرُ مراد أن يكون شعرًا؛ لأنَّ الله نفَى أن يعلم نبيَّه الشعر، ونفَى أن يكون القرآن قول شاعر، وقل مثل ذلك في سائر ما يدَّعى من آيات القرآن أنها موافقة لأوزان الشعر، كالآيات التي أوردها الأخ السائل.

وهكذا يقال فيما ادُّعي فيه ذلك من أقوال النبي ﷺ، كقوله عليه الصلاة والسلام: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، فهذا الكلام مقصود للنبي ﷺ، لكنه لم يقصد الشعر، فلا يصح أن يوصف النبي ﷺ بالشعر من أجل هذه الجملة.

ومما يتصل بهذا الموضوع ويوضِّحه أن إنشاد الشعر لا يكون به المنشد

شاعرًا، كما أن الرَّاوية لا يسمى شاعرًا مهما حفظ من الشعر.

واختصار القول: إنَّ ما جاء في كلام المتكلم موافقًا لبعض أوزان الشعر لا يسمَّى شعرًا، ولا يسمَّى من تكلم به شاعرًا. والله أعلم. حرر في ٢٥ شوال ١٤٤١هـ".

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

أولًا: أبان البحث أنَّ لمصطلح الانسجام عند البلاغيين مفهومين: الأول: مفهومٌ عامٌّ تدخل تحته المباحث البلاغية كلُّها، والثاني: مفهومٌ خاصٌّ بوصفه واحدًا من الفنون البديعيَّة، ويندرج الاتِّزان تحت هذا المفهوم الخاص، ويعني: النثر المتَّزن الذي يقع عفو الخاطر، تكون فقراته متَّزنةً على أوزان الشعر.

ثانيًا: أكَّد البحث على أنَّ من الأمور المتقررة عند كل مسلم أَّن القرآن ليس شعرا، ولا يشبه الشعر، وأن النبي ﷺ ليس بشاعر، ولا هو راوية للشعر، فالحديث عن نفي أن يكون القرآن شعرًا، ونفي أن يكون النبي ﷺ شاعرًا معدودٌ من تأكيد المؤكَّد، وهو أمرٌ لا بدَّ من التطرُّق له عند مناقشة مسألة ذات أهمية كمسألة هذه البحث.

ثالثًا: من وجوه إعجاز القرآن الكريم إعجازه الصوتي، ومن صور هذا النوع من الإعجاز اتِّزان بعض آياته على بعض الأوزان الشعرية اتفاقًا، وهذا الاتفاق يقع في كلام الناس كثيرًا، ووجه الإعجاز في هذا هو أنَّ هناك قدرًا مشتركًا في البنى الصوتية بين القرآن الكريم والشعر العربي؛ ولذلك فإنهم وجدوا أن أقرب التهم التي يمكنهم أن يعارضوا بها القرآن هي أنَّه شعر؛ ومن هنا فإنَّه لمـــَّا تقرَّر بطلان هذا الاتهام للبون الشاسع بين القرآن والشعر؛ تقرَّر عجزهم عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا.

رابعًا: كشف البحث أن العلماء في حكمهم على مسألة الاتزان فريقان: فريق يرى كراهة إطلاق القول بأنَّ شيئًا من آيات القرآن جاء على شيءٍ من أوزان الشعر، وفريق: يرى أنّهَ لا مانع من القول بأنَّ بعض آيات القرآن جاءت على أوزان البحور الشعرية.

خامسًا: رصد البحث شواهد كثيرة من القرآن على الاتِّزان استشهد بها العلماء، كما أشار البحث إلى صنيع بعض العروضيين من تأليف منظوماتٍ خاصَّة بالشواهد القرآنية على البحور الشعرية، ويمكن الرجوع إليها في مظانِّها التي أشار إليها البحث.

سادسًا: رجَّح البحث أنَّ ما جاء في كلام المتكلم موافقًا لبعض أوزان الشعر لا يسمَّى شعرًا، ولا يسمَّى من تكلم به شاعرًا؛ وعلى هذا يُخرَّج ما اتَّفق من آيات الكتاب العزيز على الأوزان الشعرية، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢- أحكام القرآن: ابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣- إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) ١٤٣٦ه/٢٠١٥م.

٤- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢ه/١٩٩١م.

٥- أصول الإنشاء والخطابة: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، ط مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٦- أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٩٤م.

٧- الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، ط مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.

٨- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٩- إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

١٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١١- إعراب القرآن: أبو جعفر النّحّاس: وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة

الأولى ١٤٢١هـ.
١٢- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): أبو سليمان الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
١٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.
١٤- أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الأولى ١٣٨٩ه/١٩٦٩م.
١٥- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠ه.
١٦- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، ط الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.
١٧- بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ط نهضة مصر.
١٨- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صوّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
١٩- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٠- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: محمد إبراهيم شادي، ط دار الرسالة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه/١٩٨٨م.
٢١- البلاغة فنونها وأفنانها (المعاني): فضل حسن عباس، ط دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة السابعة ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
٢٢- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين: عودة خليل أبو عودة، ط دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٣ه/٢٠١٢م.

٢٣- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط دار الجيل، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٢٤- التحرير الأدبي: حسين علي حسين، ط مكتبة العبيكان، الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ط الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٢٦- تفسير الراغب الأصفهاني: تحقيق: محمد بسيوني، ط كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.
٢٧- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢٩- جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، ط دار المكتبي، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩ه/ ١٩٩٩م.
٣٠- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.
٣١- خلق أفعال العباد: البخاري، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط دار المعارف السعودية، الرياض.
٣٢- دفاع عن البلاغة: أحمد حسن الزيات، تحقيق: مصطفى أبو المعاطي، ط دار الغد الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤١ه/٢٠٢٠م.
٣٣- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣٤- دلائل النبوة: أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.
٣٥- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية): محمد محمد أبو موسى، ط مكتبة وهبة،

القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.
٣٦- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق: محمد عبده عزام، ط دار المعرف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
٣٧- ديوان امرئ القيس: اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٨- ديوان البحتري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
٣٩- ديوان الشنفرى: تحقيق: اميل بديع يعقوب، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧ه/١٩٩٦م.
٤٠- ديوان طرفة بن العبد: تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٤١- ديوان الطغرائي: تحقيق علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري، ط الدوحة الحديثة، الطبعة الثانية ١٤٠٦ه/١٩٨٦م.
٤٢- ديوان علي بن الجهم: تحقيق: خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠ه/١٩٨٠م.
٤٣- ديوان الفرزدق: تحقيق: علي فاعور، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.
٤٤- ديوان كعب بن زهير: تحقيق: مفيد قميحة، ط دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ودار المطبوعات الحديثة، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٠ه/١٩٨٩م.
٤٥- ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق: حمدو طمّاس، ط دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م.
٤٦- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين: يوسف بن عبدالله العليوي، ط عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣١ه/٢٠١٠م.
٤٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

١٤١٥هـ.
٤٨- سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، ط دار الجيل، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣/٥/١٩٩٣م.
٤٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
٥٠- سنن ابن ماجه: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، ط دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٥١- سنن أبي داود: تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، ط دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٥٢- سنن الترمذي (الجامع الكبير): تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٥٣- السنن الصغرى: النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦/٥/١٩٨٦م.
٥٤- السنن الكبرى: النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٥٥- السيرة النبوية: ابن هشام، ط تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة.
٥٦- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به: عبد الرحمن بن معاضة الشهري، ط مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
٥٧- شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/

٢٠٠٣م.
٥٨- شرح مصابيح السنة للإمام البغوي: ابن المَلَك، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٥٩- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ابن فارس، ط محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٦٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦١- صحيح البخاري: تحقيق: محمد زهير الناصر، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٦٢- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، ط مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٦٣- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٤- الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٤١٩هـ.
٦٥- العزف على أنوار الذكر (معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة): محمود توفيق سعد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٦٦- علم البديع: بسيوني عبد الفتاح فيود، ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.
٦٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٦٨- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال.
٦٩- العيون الغامزة على خبايا الرامزة: ابن الدماميني.
٧٠- غرائب التفسير وعجائب التأويل: أبو القاسم الكرماني، ط دار القبلة للثقافة

الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٧١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ط دار الكتب العلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٧٢- الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط دار عمار، عمّان، الطبعة الثانية ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
٧٣- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ه.
٧٤- فن التقطيع الشعري والقافية: صفاء خلوصي، ط منشورات مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الخامسة ١٣٩٧ه/١٩٧٧م.
٧٥- القول البديع في علم البديع: مرعي الحنبلي، تحقيق: محمد الصامل، ط دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٧٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٧٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ط دار الوطن، الرياض.
٧٨- لسان العرب: ابن منظور، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٧٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
٨٠- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٨١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي الملا القاري، ط دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٨٢- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٨٣- المسند: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد،

وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٨٤- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٨٥- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): جلال الدين السيوطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨٧- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٨٨- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين الرازي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
٨٩- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٩٠- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، ط دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٩١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٩٢- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: السيد أحمد الهاشمي، ط مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٩٣- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط دار القلم للنشر

والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٩٤- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ط مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة الأولى ١٣٠٢هـ.
٩٥- الوسيلة الأدبية للعلوم العربية: حسين المرصفي، ط مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٣ه.

ثانيًا: المخطوطات:

١- رسالة في أوزان أبحر الشعر: زين الدين البيريّ، ضمن مجموع محفوظ بجامعة الملك سعود برقم ٢/٦٥٧٨.
٢- قلائد النحور من جواهر البحور: الشهاب الحجازي: رسالة علمية في كلية الآداب بجامعة طنطا من دراسة وتحقيق: عهدي إبراهيم السيسي، ولدي مصورة منها.
٣- لذيذ الطرب بنظم بحور العرب: محمد عياد الطنطاوي، مخطوط في المكتبة الأزهرية، ولدي صورة منه، وذكر محقق قلائد النحور أنه منشور بتحقيق: طراف طارق النهار، بمركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ٢٠٠٧م.

References:

awlan: alkutab:

1. al'iitqan fi eulum alqurani: jalal aldiyn alsuyuti, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, t alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, altabeat 1394h/1974m.
2. 'ahkam alqurani: abn alearabii, rajae 'usulah wakharaj 'ahadithah welaq ealayhi: muhamad eabd alqadir eataa, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat althaalithat 1424h/2003m.
3. 'iistiratijiaat alkhatabi: muqarabat lughawiat tadawuliatu: eabd alhadi bin zafir alshahri, t dar kunuz almaerifat lilnashr waltawziei, emman, altabeat althaania (mazidat wamunaqahatun) 1436h/2015m.
4. 'asrar albalaghati: eabd alqahir aljirjani, qara'ah waealaq ealayhi: mahmud muhamad shakir, t matbaeat almadanii bialqahirati, dar almadanii bijidatin, altabeat al'uwlaa 1412h/1991m.
5. 'usul al'iinsha' walkhataabati: muhamad altaahir bin eashur, tahqiqu: yasir bin hamid almutayri, t maktabat dar alminhaj lilnashr waltawziei, alrayad, altabeat al'uwlaa 1433hi.
6. 'usul alnaqd al'adbi: 'ahmad alshaayibi, t maktabat alnahdat almisriati, alqahirati, altabeat aleashirat 1994m.
7. al'iiejaz albalaghi: dirasat tahliliat liturath 'ahl aleilami: muhamad muhamad 'abu musaa, t maktabat wahbata, alqahirati, altabeat althaalithat 1427hi/2006m.
8. al'iiejaz albayaniu lilquran wamasayil aibn al'azraqi: eayishat eabd alrahman (binat alshaati), t dar almaearifi, altabeat althaalithati.
9. 'iiejaz alqurani: 'abu bakr albaqlani, tahqiqu: alsayid 'ahmad saqra, t dar almaearifi, masir, altabeat alkhamisat 1997m.
10. 'iiejaz alquran walbalaghat alnabawiatu: mustafaa sadiq alraafiei, t dar alkitaab alearabi, bayrut, altabeat althaaminat 1425h/2005m.

11. 'iierab alqurani: 'abu jaefar alnahaas: wade hawashih waealaq ealayhi: eabd almuneim khalil 'iibrahim, t manshurat muhamad eali bydun, dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1421hi.
12. 'aelam alhadith (shrah sahih albukhari): 'abu sulayman alkhatabi, tahqiqa: muhamad bin saed bin eabd alrahman al saeud, t jamieat 'ami alquraa (markaz albuhuth aleilmiat wa'iihya' alturath al'iislamii), altabeat al'uwlaa 1409h/1988m.
13. 'iikmal almuealim bifawayid muslimi: alqadi eiad, tahqiqi: yahyaa 'iismaeil, t dar alwafa' liltibaeat walnashr waltawzie, masir, altabeat al'uwlaa 1419h /1998m.
14. 'anwar alrabie fi 'anwae albadiea: aibn maesum almadni, tahqiqu: shakir hadi shakra, t matbaeat alnueman, alnajaf, altabeat al'uwlaa 1389h/1969m.
15. albahr almuhit fi altafsiri: 'abu hayaan muhamad al'andalsi, tahqiqu: sidqi muhamad jamil, t dar alfikri, bayrut, altabeat 1420h.
16. albadie fi naqd alshiera: 'usamat bin munqadh, tahqiqu: 'ahmad 'ahmad badui, hamid eabd almajid, murajaeatu: 'iibrahim mustafaa, t aljumhuriat alearabiat almutahidati, wizarat althaqafat wal'iirshad alqawmii, al'iiqlim aljanubiu, al'iidarat aleamat lilthaqafati.
17. badie alqrani: abn 'abi al'iisbie almisrii, taqdim watahqiqu: hifni muhamad sharaf, t nahdat masr.
18. alburhan fi eulum alquran: badr aldiyn alzarkashi, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, t dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabi alhalabi washurakayihi, thuma swwarth dar almaerifati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa 1376h/1957m.
19. baghiat al'iidah litalkhis almiftah fi eulum albalaghati: eabd almutaeal alsaeidii, maktabat aladab, altabeat alsaabieat eashrat 1426h/2005m.
20. albalaghat alsawtiat fi alquran alkarim: muhamad 'iibrahim shadi, t dar alrisalati, masir, altabeat al'uwlaa 1409h/1988m.

21. albalaghat fununuha wa'afnanuha (almaeani): fadal hasan eabaasi, t dar alfurqan liltibaeat walnashr waltawziei, emman, altabeat alsaabieat 1421h/2000m.
22. bana' aljumlat fi alhadith alnabawii alsharif fi alsahihayni: eawdat khalil 'abu eawdat, t dar emmar lilnashr waltawziei, emman, al'urduni, altabeat al'uwlaa 1433h/2012m.
23. albian waltabyinu: aljahiz, tahqiqu: eabd alsalam harun, t dar aljili, birut, 1423hi.
24. altahrir al'adbi: husayn eali husayn, t maktabat aleibikan, altabeat alkhamisat 1425h/2004m.
25. tahrir altahbir fi sinaeat alshier walnathr wabayan 'iiejaz alqurani: aibn 'abi al'iisbie almisrii, taqdim watahqiqu: hifni muhamad sharaf, t aljumhuriat alearabiat almutahidati, almajlis al'aelaa lilshuwuwn al'iislamiati, lajnat 'iihya' alturath al'iislamii.
26. altahrir waltanwir (tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid): muhamad altaahir bin eashur, t aldaar altuwnisiat lilnashri, tunis, 1984hi.
27. tafsir alquran aleazimi: abn kathirin, tahqiqu: sami alsalamati, t dar tiibat lilnashr waltawziei, altabeat althaaniat 1420h/1999m.
28. aljamie li'ahkam alqurani: alqurtubi, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, t dar alkutub almisriati, alqahirati, altabeat althaaniat 1384h/1964m.
29. jamaliaat almufradat alquraniatu: 'ahmad yasuf, t dar almaktabi, dimashqa, altabeat althaaniat 1419h/ 1999m.
30. khizanat al'adab waghayat al'arba: aibn hujat alhamwy, tahqiqu: eisam shaqayu, t dar wamaktabat alhilal, bayrut, dar albahar, bayrut, altabeat al'akhirat 2004m.
31. khalq 'afeal aleabadi: albukhari, tahqiqu: eabd alrahman eumayrat, t dar almaearif alsaeudiati, alriyadu.
32. difae ean albalaghati: 'ahmad hasan alzayaati, tahqiqu: mustafaa 'abu almaeati, t dar alghad aljadid, alqahirati, altabeat al'uwlaa 1441h/2020m.
33. dalayil al'iiejazi: eabd alqahir aljirjani, tahqiqu: mahmud shakir, t matbaeat almadanii bialqahirati, dar almadanii bijidatin, altabeat althaalithat 1413hi/1992m.

34. dalayil alnubuwwt: 'abu naeim al'asbhani, tahqiqu: muhamad rawaas qaleuh ji, eabd albir eabaas, t dar alnafayisi, bayrut, altabeat althaaniat 1406 ha/1986m.
35. dalalat altarakib (dirasat bilaghia): muhamad muhamad 'abu musaa, t maktabat wahbata, alqahirati, altabeat alraabieat 1429h/2008m.
36. diwan 'abi tamaam bisharh alkhatib altabrizi: tahqiqu: muhamad eabdih eazam, t dar almaerifa, alqahirati, altabeat alraabieati.
37. diwan amri alqaysi: aetanaa bihi: eabd alrahman almistawi, t dar almaerifati, bayruta, altabeat althaaniat 1425h/2004m.
38. diwan albahtari: tahqiqu: hasan kamil alssyrafi, t dar almaearifi, alqahirati, altabeat althaalithati.
39. diwan alshinfiraa: tahqiqu: amil badie yaequba, t dar alkitaab alearabi, bayrut, altabeat althaaniat 1417h/1996m.
40. diwan tarafat bin aleabdi: tahqiqu: mahdi muhamad nasir aldiyni, t dar alkutub aleilmiati, altabeat althaalithat 1423hi/2002m.
41. diwan altughrayiy: tahqiq eali jawad altaahir, wayahyaa aljuburi, t aldawhat alhadithati, altabeat althaaniat 1406hi/1986m.
42. diwan eali bin aljuhama: tahqiqu: khalil muradam biki, manshurat dar alafaq aljadidati, bayrut, altabeat althaaniat 1400h/1980m.
43. diwan alfirzduq: tahqiqu: eali faeur, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa 1407h/1987m.
44. diwan kaeb bin zuhayr: tahqiqu: mufid qamihatun, t dar alshawaaf liltibaeat walnashri, alriyad, wadar almatbueat alhadithati, jidat, altabeat al'uwlaa 1410h/1989m.
45. diwan labid bin rabieati: tahqiqu: hamdu tmmas, t dar almaerifati, altabeat al'uwlaa 1425h/2004m.
46. rieayat hal almukhatab fi 'ahadith alsahihayni: yusif bin eabdallah aleilywi, t eimadat albahth aleilmii bijamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, altabeat al'uwlaa 1431h/2010m.

47. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani: shihab aldiyn al'alusi, tahqiqu: eali eabd albari eatiat, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1415hi.
48. sr sinaeat al'iierabi: aibn jini, tahqiqu: hasan handawii, t dar aljili, dimashqa, altabeat althaaniat 1413h/1993m.
49. silsilat al'ahadith alsahihat washay' min fiqhiha wafawayidiha: muhamad nasir aldiyn al'albani, t maktabat almaearif lilnashr waltawziei, alriyad, altabeat al'uwlaa.
50. sunan aibn majah: tahqiqu: shueayb al'arnawuwt, eadil murshid, mhmad kamil qarah bilali, eabd allltyf haraz allah, t dar alrisalat alealamiati, altabeat al'uwlaa 1430h/2009m.
51. sunan 'abi dawud: tahqiqu: sheayb al'arnawuwt wmhammad kamil qarah bilali, t dar alrisalat alealamiati, altabeat al'uwlaa 1430h/2009m.
52. sunan altirmidhiu (aljamie alkabiri): tahqiq wataeliqu: 'ahmad muhamad shakir (j 1, 2), wamuhamad fuad eabd albaqi (ja 3), wa'iibrahim eatwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif (j 4, 5), t sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalbi, masir, altabeat althaaniat 1395h/1975m.
53. alsunun alsughraa: alnasayiy, tahqiqu: eabd alfataah 'abu ghudata, t maktab almatbueat al'iislamiati, halb, altabeat althaaniat 1406h/1986m.
54. alsunan alkubraa: alnasayiy, haqaqah wakharaj 'ahadithahu: hasan eabd almuneim shalabi, 'ashraf ealayhi: shueayb al'arnawuwta, qadim lah: eabd allah bin eabd almuhsin alturkiu, t muasasat alrisalati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1421h/2001m.
55. alsiyrat alnabawiatu: abn hisham, t tahqiqu: tah eabd alrawuwf saedu, t sharikat altibaeat alfaniyat almutahidati.
56. alshaahid alshieriu fi tafsir alquran alkarim 'ahamiyatahu, wa'atharaha, wamanahij almufasirin fi alaistishhad bihi: eabd alrahman bin mueadat alshahri, t maktabat dar alminhaj lilnashr waltawziei, alrayad, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat al'uwlaa 1431hi.
57. sharah diwan alhamasati: almarzuqi, tahqiqu: ghirid alshaykh, wadae faharisah aleamatu: 'iibrahim shams aldiyn, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1424hi/ 2003m.

58. sharh masabih alsunat lil'iimam albaghwy: aibn almalak, tahqiq wadirasatu: lajnat mukhtasat min almuhaqiqin bi'iishrafi: nur aldiyn talb, t 'iidarat althaqafat al'iislamiati, altabeat al'uwlaa 1433h/2012m.
59. alsaahibiu fi fiqh allughat alearabiat wamasayiliha wasunan alearab fi kalamiha aibn fars, t muhamad eali bydun, altabeat al'uwlaa 1418h/1997m.
60. subh al'aeshaa fi sinaeat al'iinsha'i: alqiliqashandi, dar alkutub aleilmiati, bayrut.
61. sahih albukhari: tahqiqu: muhamad zuhayr alnaasir, t dar tawq alnajaa (msawarat ean alsultaniat bi'iidafat tarqim muhamad fuad eabd albaqi), altabeat al'uwlaa 1422hi.
62. sahih altarghib waltarhiba: muhamad nasir aldiyn al'albani, t mktabt almaearf lilnashr waltwzye, alrayad, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat al'uwlaa 1421h/2000m.
63. sahih muslma: tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi, t dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut.
64. alsinaeatayni: 'abu hilal aleaskari, tahqiqu: eali muhamad albijawi wamuhamad 'abu alfadl 'iibrahim, t almaktabat aleasriatu, bayrut, t 1419h.
65. aleazf ealaa 'anwar aldhikr (maealim altariq 'iilaa fiqh almaenaa alqrany fi siaq alsuwrati): mahmud twfiq saedu, altabeat al'uwlaa 1424hi.
66. ealam albadiei: bisyuni eabd alfataah fiud, t muasasat almukhtar lilnashr waltawzie, alqahirati, altabeat althaaniat 1429h/2008m.
67. aleumdat fi mahasin alshier wadabihu: abn rashiq alqayrawani, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamidi, t dar aljili, altabeat alkhamisat 1401h/1981m.
68. aleayn: alkhalil bin 'ahmad alfarahidi, tahqiqu: mahdii almakhzumi, 'iibrahim alsaamaraayiy, t dar wamaktabat alhilal.
69. aleuyuwn alghamizat ealaa khabaya alraamizati: abn aldamaamini.
70. gharayib altafsir waeajayib altaawili: 'abu alqasim alkarmani, t dar alqiblat lilthaqafat al'iislamiati, jidat, muasasat eulum alquran, bayrut.

71. gharayib alquran waraghayib alfirqan: nizam aldiyn alnaysaburi, tahqiqu: zakariaa eumayrat, t dar alkutub aleilmi, bayrut, altabeat al'uwlaa 1416h.
72. alfasilat fi alqurani: muhamad alhasnawi, t dar eamar, emman, altabeat althaaniat 1421h/2000m.
73. fath alqidir: muhamad bin ealiin alshuwkani, t dar abn kathirin, dar alkalm altayibi, dimashqa, bayrut, altabeat al'uwlaa 1414h.
74. finu altaqtie alshierii walqafiati: safa' khulusi, t manshurat maktabat almuthanaa, baghdad, altabeat alkhamisat 1397h/1977m.
75. alqawl albadie fi eilm albadiea: marei alhanbali, tahqiqu: muhamad alsaamil, t dar kunuz 'iishbilya lilnashr waltawziei, alriyad, altabeat al'uwlaa 1425h/2004m.
76. alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil: alzumakhshari, t dar alkitaab alearabi, bayrut, altabeat althaalithat 1407hi.
77. kashf almushkil min hadith alsahihayni: aibn aljawzi, tahqiqa: eali husayn albawabi, t dar alwatani, alriyad.
78. lisan alearabi: abn manzurin, t dar sadir, bayruta, altabeat althaalithat 1414hi.
79. almuthal alsaayir fi 'adab alkatib walshaaeiri: dia' aldiyn aibn al'athira, tahqiqu: 'ahmad alhufi, badawi tabaanat, t dar nahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alfajaalatu, alqahirati.
80. almuhkam walmuhit al'aezami: abn sayidh, tahqiqu: eabd alhamid handawi, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1421h/2000m.
81. marqaat almafatih sharh mishkaat almasabihi: eali almula alqariy, t dar alfikri, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa 1422h/2002m.
82. alimustadrak ealaa alsahihayni: 'abu eabd allah alhakimi, tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eataa, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1411h/1990m.
83. almusandi: al'iimam 'ahmad bin hanbal, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, eadil murshidi, wakhrun, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturkiu, t muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa 1421h/2001m.

84. msanid albazaar almanshur biaism albahr alzakhari: 'abu bakr albazaar, tahqiqu: mahfuz alrahman zayn allah, waeadil bin saedu, wasabri eabd alkhaliq alshaafieii, t maktabat aleulum walhikmi, almadinat almunawarati, altabeat al'uwlaa (bda'at 1988m, waintahat 2009ma).
85. maeani alquran wa'iierabuhu: alzujaji, tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalbi, t ealim alkutab, bayrut, altabeat al'uwlaa 1408h/1988m.
86. maetaruk al'aqran fi 'iiejaz alqurani, wyusmma ('iiejaz alquran wamuetarak al'aqran): jalal aldiyn alsuyuti, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa 1408h/1988m.
87. muejam maqayis allughati: abn faris, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, t dar alfikri, 1399h/1979m.
88. mafatih alghayb (altafsir alkabir): fakhr aldiyn alraazi, t dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, altabeat althaalithat 1420hi.
89. miftah aleulumu: 'abu yaequb alsakaki, dabtah wakatab hawamishih waealaq ealayhi: naeim zarzur, t dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, altabeat althaaniati, 1407h/1987m.
90. muqadimat abn khaldun, tahqiqu: eabdallah aldarwish, t dar yuerib, dimashqa, altabeat al'uwlaa 1425hi/ 2004m.
91. minhaj alsunat alnabawiat fi naqd kalam alshiyeat alqadariati: aibn taymiati, tahqiqi: muhamad rashad salim, t jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, altabeat al'uwlaa 1406h/1986m.
92. mizan aldhahab fi sinaeat shaer alearabi: alsayid 'ahmad alhashimi, t maktabat aladab, alqahirati, altabeat al'uwlaa 1418h/1997m.
93. alnaba aleazim nazarat jadidat fi alquran alkarimi: muhamad bin eabd allah diraz, aietanaa bihi: 'ahmad mustafaa fadliata, qadim lah: eabd aleazim 'iibrahim almateani, t dar alqalam lilnashr waltawziei, tabeatan mazidatan wamuhaqaqatan 1426h/2005m.
94. naqd alshieri: qudamat bn jaefar, t matbaeat aljawayibi, qustantiniatun, altabeat al'uwlaa 1302hi.

95. alwsilat al'adabiat lileulum alearabiati: husayn almursafi, t matbaeat almadaris almalakiati, alqahirati, altabeat al'uwlaa 1393h.

thanyan: almakhtutati:

1. risalat fi 'awzan 'abhar alshaera: zayn aldiyn albyry, dimn majmue mahfuz bijamieat almalik sueud biraqm 6578/2.
2. qalayid alnahwr min jawahir albuhur: alshihab alhijazi: risalat eilmiat fi kuliyat aladab bijamieat tanta min dirasat watahqiqi: eahday 'iibrahim alsiysi, waladia musawarat minha.
3. ladhidh altarab binuzm bihawr alearbi: muhamad eayaad altantawi, makhtut fi almaktabat al'azhariati, waladay surat minhu, wadhakar muhaqaq qalayid alnahur 'anah manshur bitahqiqi: taraaf tariq alnahar, bimarkaz eibaadiin lildirasat walnashri, sanea' 2007m.